



سكربت الشيبا

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بقلم / رئيس التحرير

(المسلمين) التي كانت تصدر في البصرة ومثل (اليقين) و (السجل) و (العرب) التي كانت تصدر في بغداد ، بالإضافة إلى المجلات الكويتية مثل مجلة (الكويت) للمرحوم عبدالعزيز الرشيد ومجلة (البعثة) التي كان يصدرها بيت الكويت في القاهرة ، وغيرها من الصحف والمجلات العربية في مختلف أنحاء الوطن العربي ، لكن بالرغم من هذا الصدى الشعري الذي تركه الشاعر ، لم نجد من كتب عنه وعن شعره كتابة جادة تحلل فلسفته في الحياة ، وتحلل نظريته للعلم والعقل ، وتصوّر نظريته للذين يدعون الدين ، وكذلك دعوته للوحدة العربية ، وللقوموية العربية ، ولثورة مصر ولاتحادها

في يوم الاثنين الموافق السادس من شهر اغسطس ١٩٧٣ تمر عشر سنوات على وفاة المرحوم صقر بن سالم الشبيب ، وصقر بن سالم الشبيب أحد شعراء الكويت المعدودين ، الذين تركوا وراءهم دويًا شعريًا في أنحاء الكويت والعراق والخليج خاصة ، وختلفوا صدى لشعرهم في بعض أنحاء الوطن العربي، وقد سبق لجريدة الأهرام في القاهرة أن نشرت مقالاً عن «معزي الكويت» منذ فترة طويلة وأثناء حياة الشاعر ، بقلم الاستاذ عبدالله المشلولطي وكان معاراً من مصر للعمل مدرسا في الكويت ، وهناك كثير من المجلات والصحف العربية التي نشرت الكثير من قصائد الشاعر مثل (الشبان

مع بسورية ، بل نظرت له للعزلة وللعمى ، وللصبر وأخيرا للبخس وللحب ، كل هذه المواضع تطرق إليها الشاعر في شعره ، وأوضح رايه فيها ، ونظرت إليه ، وأحسن ما قرأناه عن هذا الشاعر هو ما كتبه عنه رفيقه وزميله الأستاذ الفاضل أحمد بشر الرومي ، الذي اعتنى بجمع ديوانه وطبعه طبعه علمية جميلة ، وكان الكثيرون من محبي الأدب ، ومتعشقي الشعر يتابعون أخبار هذا الديوان للاطلاع على مختلف أشعار هذا الشاعر الذي عاش في الكريت عيشة بائسة صعبة ، لا يعرفها إلا الذين زاولوه ورافقوه في كثير من شئون حياته الخاصة في عزلته ، وهم يعنون على أصابع اليد الواحدة ، وعلى راسهم الأستاذ أحمد البشر الذي رافقه وعاش بجانبه حتى توفاه الله وفارق الحياة غير آسف عليها ، والمزم أن روية الشاعر كما علينا أقامت الدعوى ضد الأستاذ البشر على اهتمامه بالديوان وطبعه ، وما درت أن الأستاذ البشر هو الذي عاش مع المرحوم جنباً للجنب ، وهو الذي حرص على رعايته والاهتمام به أثناء حياته ، وبعد وفاته ، اهتم بإثارة الشعرية ونقحها واعتنى بجمعها ثم أخرجها إخراجاً يتناسب ومكانة الشاعر الشعرية ، ولولا بل يصدر الديوان ، بل لنضاع كما ضاع الكثير من أشعار الشعراء ، وآثار الأدباء الكويتيين ، الذين نبحت عن أشعارهم وآثارهم الأدبية ، فلا نجد لها أثراً يذكر ، والأستاذ أحمد البشر هو الذي حافظ على آثار الشاعر صقر وقدها إلى الطبيعة وأخرجها ديواناً شعرياً حافلاً بالكثير من أوائه ونظرائه في الحياة ، وفيما يدور فيها ، وقدم له مقدمة شريفة فيها بعض جوانب حياته الحافلة بالشعر والمفارقات ، والحياة كلها مفارقات ، وحياة الشاعر كلها أو جلها ، نشاد ، لا سيما أن شاعرنا صقر قد حرم من نعمة البصر وهو شاب صغير لم يتعد التاسعة من عمره ، ونعمة البصر من نعم الله تعالى على الإنسان ، إذا فقدناها فقد انتزع بما حيا الله تعالى الكون من مناظر جميلة خالية ، ومفان رائعة ، وجبال ساحر ، في الطبيعة ، وفي المخلوقات أيضاً ، ومقدمة الديوان التي كتبها الأستاذ أحمد البشر تعتبر بحق تاريخاً صادقاً لحياة الشاعر ، ومخللاً للذين يريدون الكتابة عنه وعن شعره الكثير الذي تطرق فيه إلى مختلف شئون الحياة .

لقد كتب بعض الأدباء عن صقر لكن كتاباتهم هذه ، كتابات عابرة ، لا تعطي صورة واضحة عن الشاعر وعن شعره ، ولا تحل ما جاء في شعره من آراء وأفكار أو بها الشاعر واعتنقها ، واتخذها مبدأ له في الحياة ، أما قيمة شعره عند الذين كتبوا عنه فهي مختلفة ، وهي مختلفة أيضاً عند الذين قرأوا شعره من الذين يتذوقون الشعر ، ولا يتكبنون طبعاً ، إذ أن هناك نفرًا من

الناس يقرأون الشعر ويحفظونه ، ويتذوقونه ، ويطربون في ترديده والتفتي بالجميل الجيد منه ، ويدون فيه آراءهم ، لكنهم لا يستطيعون تسجيلها على الورق ، وإنما يتداولونها في جلساتهم ودوائهم الأدبية ، وفي مجالسهم التي يجتمعون فيها ويتحدثون في مختلف شئون الأدب ، فيفهمهم يرى في شعر « صقر » ما لا يرى فيه البعض الآخر ، وكثيراً ما اختلفت الآراء وتضاربت في أشعار الشعراء ، مهما كانت منزلتهم وقوة شاعريتهم ، وأي شاعر لم يختلف فيه النقاد ، وأي شاعر اجمعوا على شعره ؟ وللتقاسد نظرات وآراء لا تتفق في كثير من الأحيان ، ولهم وجهات نظر في ما ينقدونه ، لا تناسب أبداً ، فنادق يرى في شاعر ما شاعراً محلقاً في شعره ، قويا في أسلوبه ، صادقا في إحساسه ، وناقد يرى نفس هذا الشاعر ناظلاً أكثر منه شاعراً ، ضعيفاً في أسلوبه ، غير صادق في مشاعره وأحاسيسه ، وتلك سنة الحياة ، وطبيعة الإنسان ، وسيظل هذا الاختلاف قائماً في الإنسان ، ما دام الاختلاف من طبيعته ، فالمثني وهو أعظم شاعر انجذبه الآلة العربية ، لم يسلم من نقد النقاد ، وإن كانوا قلّة ، إلا أن هذه القلّة رمت هذا الشاعر بما ليس فيه ، إذ اتهمته بالسرقة ، وبالسلطو على معاني غيره ، والمعاني مجردة في الحياة ، لا يصل إليها إلا الفكر الناقد ، وهناك الكثير من الأفكار الناقدة ، وهذه الأفكار الناقدة الشاعر تسلمهم وحبها من العصابة نفسها ، والحياة يستلهم منها الناس أفكارهم ، والشعراء الأفاض تنفذ أفكارهم إليها فتصوغونها تعان في أشعارهم فنكون بمثابة النجوم في السماء ، أو الكواكب في المقود على التهور الجميلة ، وفي هذا الحال ربما وقع الحافر على الحافر كما يقول النقاد ، حيث تأتي المعاني متشابهاً ، لكن بصيغ مختلفة ، ولو تتبعنا هذا التشابه لما وصلنا إلى نتيجة ، خذ مثلاً قول المتنبي :

يَدُنْ بَعْضُنا بَعْضاً وَيَبْشِي

أَوَّارُنا على هام الأوالي

وقول ابي العلاء المري :-

خف السوطه ما أظنّ أديم الـ

أرض إلا من هذه الأجساد

سر إن اسطعت في الهواء رويداً

لا أخيبالا على رفات العباد

ربّ لحدّد صار لحدداً مراراً

ضاحكا من تزامم الاضداد

وبدين على بقايا دفين

في طويل الأزمان والإباد

وقول عبر الخيام في رباعياته :

رايت خزاقا رحاه تدور
يجد في صنع دنان الخمر

كانه يخلط في طينها
جمجمة الشاه بساق الفقير

أو قوله :

وكم توالى الليل بعد النهار
وطال بالأنجم هذا المدار

فامش الهوينيا إن هذا الثرى
من أعين سحارة الاحورار

أو قوله :

وان توافى العشب عند الغدير
وقد كسا الأرض بساطا نضير

فامش الهوينيا فوقه إنه
غذته اوصال حبيب طربير

فاللعنى هنا واحد أتى به المتنبي أولا ، وصوره في بيت من الشعر ، وبعد المتنبي جاء المهري قصوره في أكثر من بيت ، وبعدها جاء عبر الخيام قصوره في أكثر من بيت وأكثر من رباعية من رباعياته ، فهل يحق لنا أن نقول هنا إن المهري سرق المعنى من المتنبي ، وإن عبر الخيام سرق المعنى منهما معا ؟ أعتقد أننا نتجنى عليها وعلى الشعر إذا قلنا مثل هذا نقول ، إذاً إن هؤلاء الشعراء إنما يصورون معانيهم ، ويسمّدون معانيهم من الحياة التي يحيونها ، ويصفون الموت في شعرهم ، كل واحد منهم حسب نظرته إلى الحياة وإلى الموت ، وكيف تتزاحم أجساد الموتى في التراب ، ويتراكب بعضها فوق بعض على مر الليالي وكر الأيام ، جسد الصعلوك فوق جسد الملك ، ورجل الفقير على هامة الشاه ، وعين الحساء الساحرة في قلب العانسق الولهان وهكذا تمر الليالي وتكر الأيام ، وتضي السنين وتطوى القرون ، وتدفع الأرحام بالأحياء ، وتبلغ الأرض الأموات ، وتدور عجلة الزمن ، وتقع الحوافر على الحوافر إلى أن يشاء الله رب العالمين ، وربما صور شعراء آخرون نفس هذا المعنى في أشعارهم ، بل سواهم كان هؤلاء الشعراء عربا أم كانوا غير عرب ، بل إن هناك كثيرا من المعاني المتشابهة ترددت في أشعار الشعراء ، وفي كتابات الكتاب في مختلف العصور .

إذاً فقد اختلف أدباؤنا في شعر شاعرنا قصر ، وتضاربوا في قيمة شعره ، كما اختلف غيرهم في أشعار

الشعراء ، لكن الواجب يقتضي ، أن ندرس ونحلل أشعار الشعراء ، وآثار الأدباء ، لنعرف مستواها الأدبي وقينها العلمية ، ونحكم عليها ، ولربما وجدنا في أشعار الشاعر معاني علمية ونظرات لها قيمتها في الحياة ، وإن كان مستوى الشعر لا يرقى إلى المستوى الفني الرفيع ، واعتقد أن الشاعر صغر كان يهتم بتصوير حياته ، وحياة المجتمع الذي يعيش فيه تصويرا شعريا غير مهم بقيمة الشعر الفنية ، ومستواه الفني المؤثر في النفس ، حتى قيل إن شعره أكثره متكلف ، وأكثره مركب ، وهو أقرب إلى النظم منه إلى الشعر ، والواقع أن مثل هذا الحكم فيه شيء من القسوة ، ذلك أننا نجد في بعض أشعار الشاعر أبياتا جميلة قوية ، تطرب لها ، وتنفن بها ، وإن كان اهتمام الشاعر كما قلنا بنصبا في التعبير عن نفسه في تصوير الحياة التي يحياها ، وطبيعة هذه الحياة ، والظروف التي تحيط به حسب مقدورته الفنية ، إذاً فإن شعره لا شك قطعة من تاريخ حياة الكويت الأدبية ، لأنه يمثل مرحلة من تاريخ الكويت ، ويترجم معنى الحياة التي يحياها الكويتيون ، ويرسم نشاط الحركة الأدبية فيها ، بل وغير الأدبية ، ومن هنا وجب الاهتمام بدراسة حياة شاعرنا صغر دراسة علمية وتحليل شعره ، ونظرتنا لختلف أمور الناس .

لقد اهتم الشاعر صقر اهتماما بالغا بالعلم وبالمثل ، وردهما كثيرا في شعره فمن ذلك قوله :

الجهل داء انتخب عندي وحده
والعلم في رأيي أجلّ دوائه

فالشعب من مال وعقل لم يكن
خلواً ولا من حزمه ونكاته

لكن من العلم الذي هو نوره
في سبيل محياه إلى عليائه

فأهبط بشعبك للعلوم فانه
يحتل على ما أرتأي بشفائه

ويقول :

فالعلم أصل الخير في اصحابه
والجهل أصل الشر في اسرائه

ويقول في العقل :

لعقلي راض طبعي الشيب حتى
إلى ادعائه رد الإباء

فطبعي طوع عقلي منذ أبدت
بظهوري بسطة العمر اتحناء

وشيبك نعمة إن فيه لبى
لمعكك جامع الطبع النداء

ويقول :

مهمل قوى المشيب المقل أم هل
به لبست قوى الطبع انحناء

وفي إحدى قصائده التي يصف فيها الحرب العالية
الثانية ومأساها يخاطب قومه ويحثهم على العلم ، وقد
آله وحز في نفسه المأسى التي يراها في بني الإنسان ،
والظلم الذي يسخره الإنسان ضد الإنسان ، والقوة
التي يستعملها الظالم الطاغية لاستعباد الناس
واضطهادهم ، وسلبهم ما يملكون ، وعز عليه أن يرى
بني قومه العرب في تفكك وتآخر وضعف ، وخشي أن
تدور الدائرة عليهم في يوم من الأيام ، فراح يقدم لهم
نصحه في التعلم ، ومحاربة الجهل لكي يتخلصوا من
التخلف الذي يعيشون فيه ، ويدعوهم إلى الإسراع في
العلم ، وبذل ما يملكون من مال ، فإن المال يهون
في سبيل العلم ، لأن المال غير دائم ، بينما العلم هو
الذي يدوم ، وهو السلاح الذي يثودون به عن أنفسهم
كل عوادي الأيام ، ألم يعتبروا بهذه الحرب الطائفة في
الفرب ، فإن نشر العلم هو المكسب الوحيد للأمة
العربية .

يقول :

بني يعرب الفر الميامين دهركم
لجهاله سهل الأمور به صعب

فهبطوا سراعا من عيق مناكمم
فحسبكم ما مَرَّ منه بكم حسب

ولا تبخلوا بالمال عند شرائكم
من العلم ما خصا يعود به الجذب

فاتفاق هذا المال في السبيل التي
تؤدي إلى نشر العلوم هو الكسب

ويقول :

على العلم يا قومي على العلم عولوا
فذاك هو الدرع الحصينة والعضب

خذوا العدة المثل من العلم تصيحوا
وبعد العلاء عنكم بها منكم قُرب

وظنوا جيلا بالعلوم وإن جنت
على القرب ما منه به انقضم الصلب

وقصيدته (العلمُ العلمُ) دعوة حارة لقومه ،

ولنشء الكويت في أن يوجه جهوده نحو العلم ، فالعلم
هو سبيل الحياة الحرة الكريمة ، والعلم يصل بصاحبه
إلى أعلى المراتب ، وينال به المجد الرفيع ، وهل أقتل
للأثم من الجهل ، فالأثم الحية هي التي تجذ وتداب في
سبيل العلم ، وليس مثل العلم شيء يدني الإنسان من
الحياة ، ذلك أن الذين يعيشون في جهل إنما يعيشون
على هاش الحياة وليس في صبيها ، والعلماء لا تنال
إلا بالعلم وحده ، ذلك أن العلم هو مفتاح لكل مغاليق
الحياة ، فالمجد والسؤد لا يأتي إلا عن طريق العلم ،
والعلم هو الذي يمكن الإنسان من السيطرة على القوة
في مختلف وجوها ، القوة الاقتصادية ، والقوة الصناعية
والقوة العسكرية إلى غير ذلك ، فالعلم نحو العلم هو
الذي يؤدي إلى الرتب العليا ، ولهذا وجه الشاعر
نصائحه نحو قومه فقال :

نشء الكويت صلوا بالجد والداب
ما يستجد من الأيام والحطب

لا شيء كالعلم يدني نفس صاحبه
من الحياة ويقصها عن الشجب

وليس كالعلم للعالم من درج
وليس كالعلم للنعماء من سبب

للشرق والغرب قد نالاه رتبا
جلت عن الوصف بالاشعار والخطب

لولا العلوم لما ابصرتم أحدا
يرقى الى الرتبة العليا في الرتب

ولم تتروا أمة في الناس ساجدة
كما تريد ذيول المجد والذهب

الى ان قال :

تعلموا ترجعوا ما أثبت متصلا
فمن يرم مطلبه بالعلم لم يخب

فليس بالعلم كسر غير منجبر
وليس بالعلم ناء غير مقترب

ما لي ابنت مزاياه وليس على
وجوها الفائنات الحسن من حجب

وصفحة الشمس تغني كل ذي نظر
عن وصفها بلسان القائل الذرب

لكن تغني الفتى بالحسن يطربه
وقد تغنيت ابغي لذة الطرب

— يتبع —



المفتيد الشيخ يوسف بن عيسى القناعي

١٨٧٨ - ١٩٧٣

الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت آنئذ للنظر في شؤون الناس عام ١٣٣٦ هـ - ١٩٢١ م وانتخب أيضا نائبا لرئيس مجلس الشورى سنة ١٩٣٨ . ولقد عين عضوا في معظم مجالس الادارات الحكومية في الكويت والاشاد الشيخ الاستاذ عبدالعزيز الرشيد باعماله فحفظنا عنها في تاريخه قائلا :

الشيخ يوسف بن عيسى القناعي هو احد اقطاب الحركة العلمية والفكرية في الكويت واحد العاملين في كثير من المشاريع الخيرية بل هو في الحقيقة مصلح الكويت وقد نفاى سواه بمعاودة المشاريع النافعة باديا وادبيا فتجده يبذل من ماله في سبيل اصلاحها ما يفوق بذل الكثيرين من مواطنيه اهل الملايين ويبذل كذلك من وقته نفيسا ما يعادل بذله للمال ، كل هذا قبايا بحق الوطن المقدس الذي لا يعرف الجم الفغير له معنى . ولا غرو ان يمتاز هذا الاستاذ على اخوانه بذلك فانه قد جمع مع الثروة علميا جبا انكشف له به من الاضرار ما لم يتكشف لاحد من مواطنيه .

من مؤلفاته

١ - المذكرة الفقهية للدراسة الابتدائية وهو كتيب صغير يحتوي على نبذة يسيرة في علم الفقه على مذهب الامام الشافعي في اغلب الاحكام واتبع في بعضها بقية المذاهب .

٢ - صفحتان من تاريخ الكويت نبذة يسيرة من تاريخ الكويت مبتدئا بصباح الاول ومنهيا بوفاء مبارك الصباح سنة ١٣٣٤ هـ وهذا الكتاب على صغر حجمه عظيم الفائدة كثير النفع وهو من المصادر التي اعتمدتها في تاريخي للحركة الفكرية في الكويت .

٣ - الملتقطات (صدر منها ستة اجزاء) : وهي عبارة عن التقطات المؤلف من مجموعة مطالعات في الحكم والفقه والادب والطرائف ، ولقد قامت وزارة الاعلام اخيرا بجمع الاجزاء الستة واعادت طبعها في مجلد واحد عام ١٩٦٥ .

عن كتاب : ادباء الكويت في قرنين
للاستاذ خالد سمود الزيد

ودعت الكويت في يوم الخميس ١٩٧٣/٧/٥ عالما جليلا ومصلحا كبيرا له في تاريخ الكويت منزلة كبيرة لا يشغلها سوى الدرجات الاعزاذ الذين لا يوجد بهم الزمن الا الما .

وللتعريف ببعض جوانب شخصية المفتيد الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ننقل فيما يلي بعض ما جاء عنه في كتاب « ادباء الكويت في قرنين » للاستاذ خالد سمود الزيد :

« ما سطر حديث عن النهضة الفكرية والعلمية في الكويت الا وكان الشيخ يوسف كلمة من بين كلمات هذا الحديث ، وسطرا بارزا بين هذه السطور . فهو احد الاقطاب الذين ساهموا في دفع عجلة التاريخ الفكري في هذا البلد دفعات ليس لانكارها من مجال .

جمع بين الثروة والعلم فجاد بها على مواطنيه فكان يطبع مؤلفاته على نفقته الخاصة ثم يوزعها على معارفه واصدقائه بالجان غير مستهدف من وراء صنيعه هذا سوى نشر العلم واتساع المعرفة بين الناس . والشيخ يوسف هو قاضي التمييز في الكويت في المسائل الدنية الاحوال الشخصية ويؤدي عمله هذا دون ان يأخذ عليه اجرا .

تلقى شيخنا الجليل علومه الاولى في الكويت وبعد ذلك سافر الى الاحساء ثم الى مكة المكرمة فدرس النحو واللغة والفقه والحديث حتى صار حجة في كل ذلك . ولقد تأثر تأثرا كبيرا بفقاهي شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وعلمه العزيز فكان منتهجا لطريقته سالكا مسلكه ففاجت فتاواه واحاديثه صريحة واضحة وجريئة متسامحة .

يعتبر الشيخ يوسف اول من نادى بتأسيس مدرسة عمرية في الكويت وبهيمته تأسست المدرسة المباركية ولقد تطوع للعمل فيها مجانا كناظر لها ومدرس فيها ثم تأسست المدرسة الاحمدية مكان ناظرا للمدرستين ورئيسا في نفس الوقت للمكتبة الاحلية التي يرجع الفضل اليه في تأسيسها عام ١٣٤١ هـ وهي اول مكتبة عامة تنشأ في الكويت .

انتخب عضوا في مجلس الشورى الذي كونه

اشترك فيها

الاستاذ فتح الخورش
عبد العزيز المنصور
الدكتور خالد الوسمي



سندوة
البيان
حول

ادار
السندوة

سليمان
المشطي

كتاب تاريخ الكويت

استغل الثقافة في وطننا العربي شيئاً يعاير بصورة البنية ما دامت تفتقد الى الاحساس بالمعنى الذي يتجاوز مجاداة النفس الى مجاورة الآخرين .. وعندها سيبدل القارئ طرفاً بين هذا الرأي أو ذاك : سلباً حين يقف عند حدود السماع ، وإيجابياً حين يدفعه الحوار الى اتخاذ موقف أو اختيار مسبب .
ان عصرنا هو عصر الحوار . فالإنسان ، لكي يعيش ، محكوم عليه بغيره .. فعليه على الأقل ، ان يحول هذا الحكم الى قطب الإيجابي حين يدخل في الصلب .. فإذا هو بين الخليا وجزء منها ..
ولأننا نؤمن بان الإنسان يمكن ان يفهم الإنسان ، نفتح هذه الصفحة في « البيان » ..

« س. س. ش »

— س. الشطي :

« تاريخ الكويت » : موضوع مناقشنا الليلة .
وهذا التاريخ ليس منفصلاً عن تاريخ المنطقة ، ولا يدرس لذاته ، وإنما يدرس بصفته حلقة من حلقات التاريخ الحديث . ومن خلال أوجه تفسيرنا المختلفة لهذا التاريخ ، نصل الى بعض النتائج التي يمكن ان تكشف عن الكثير مما يجري في المنطقة الان .

لقد ظل تاريخ الكويت الى سنوات قريبة يعتبر مصدراً او مصدرين عند كل المؤرخين . حتى جاءت المحاولات الاخيرة لاعادة كتابة تاريخ الكويت ، او بالاحرى : لكتابة هذا التاريخ ، الذي لم يكن ، بالاصل ،

مكتوباً او بدوناً خلال القرنين او الثلاثة الماضية .
اعتقد انه من الواجب علينا الاستفادة — انشاء كتابنا لتاريخنا — من كل التجارب التي راقت كتابة التاريخ الاخرى . اذ قد ينجم عن اعتمادنا فقط على التسجيل : تورط في كلام قد يكون غير ملائم .. كما اننا سنعتبر مخلفين عن عصرنا الحاضر لو اخذنا نعيد كتابة التاريخ وفق اساليب القرن الماضي وسابقه .
والسؤال المطروح امامنا الان : ما هي المشكلات التي قد تعرض سبيلنا لكتابة تاريخ للكويت كتابة ملائمة لروح العصر ؟!

— ع. المنصور :

يوقفوا حكوماتهم على حقيقة ما يجري في المنطقة .. ولأن سياسة تلك الحكومات أنها تعتمد على ما ينقله إليها وكلاهما عن مجريات الأمور . وقد يكلف هؤلاء بتحري موضوع كانوا قد أشاروا إليه في تقاريرهم ، فيستفسرون من الأهالي عن اسباب وتوهم موقفنا معنا من قضية معينة . وبهذا الصدد ، أرى ان التقارير الانجليزية بالذات هي اصح من الروايات المحلية ، غير المثبتة بالنص الصريح على مواعيد كتابتها .

— ع. المنصور :

.. الا ان هذه التقارير تغفل ذكر حقيقة الاحوال الداخلية في البلد .. مقتصرة في كلامها على جانب دون جانب من الحياة العامة ...



فتوح الخترش :

الواجب يحتم اشهار الحقيقة مهما كانت النتائج ، وهذا لا يعني ان نجابه الناس بالحقيقة بل يمكننا ان نذكرها لهم بطريقة غير مباشرة حتى يدركها الناس بالتدريج تاركين للاذكياء استشفاف الموضوع من خلال كلامنا .

— خ. الوسمي :

لنسال انفسنا اولا : ما هي مشكلة كتابة التواريخ عموما ؟ وعلى اساس البحث تطبق النتائج على ما تنحصر في الكويت .

التاريخ بلا وثائق ليس هو بتاريخ . وكتابت التاريخ — أي تاريخ — يختلف عن كتابة التاريخ الاخرين باختلاف نظرتهم للامور . انها نقطة التحليل التاريخي للاحداث المدونة ، او نظرة المؤرخ للامور من خلال الوثائق .

في الكويت مصادر عديدة ، وأولها : المكتوبة ، وعلى رأسها المراسلات التي قامت بين الداخل والخارج — باعتبار ان المنطقة كلها كانت ضمن النفوذ الابريالي البريطاني والفرنسي بالذات . وهذه المراسلات محفوظة

هناك مشكلات حديثة لم تكن قائمة من قبل . أهمها : مشكلة توفر المصادر التاريخية . فاول من ارجح للكويت جمع مادته في العشرينات من هذا القرن . ومن مصادر التي اعتمد عليها ، والتي لم يتوفر له غيرها في ذلك الوقت : بعض الاوراق الرسمية التي ذكرها ، وبعض المراسلات الخاصة ، وروايات متفرقة لبعض الرواة .

الا ان اهم صعوبة تواجه كاتب التاريخ الان هي مشكلة المصدر . وبما ان المراجع المحلية شبه معدومة ، فلا يتبقى امامه سوى الاعتماد على المراجع الاجنبية . الا ان المصدر الاجنبي ينقل وجهة نظر صاحبه الخاصة . فاذا كان يتوجب معارضته ، فعلى اي اساس ، وكيف ؟ — مثلا : الحصار الاقتصادي البحري الذي كانت بريطانيا قد شربته على الكويت في عهد الشيخ سالم ، حتى لا تسرب المؤن الى أعدائنا ، والحصار المائل الذي شربه ابن سعود على الكويت في عهد احمد ، انعاشا لموانئ بلاده . فاذا سألت اهل المنطقة عن عذير الحدين ، رأيت منهم من نسبها تماما بسبب تقدمه في السن ، او من ينسأها عامدا حتى لا يخرج ذكره الحقائق بعد ان تغتر الظروف . اما اذا طالعت الوثائق الاجنبية ، فإناك تجدها تتحدث عن الامر من زاوية معينة تخدم بالجانب الذي يروق لاصحابها ذكره مع اغفال تام لما كان يجري في المنطقة أثناء الحصار . اذن ، فالمشكلة الاساسية هي مشكلة تلة المصادر التاريخية المحلية . وفي هذا ما يجب ان يعي جميع الباحثين ، او السامعين للتاريخ لهذه المنطقة ، الى جميع كافة المصادر والوثائق والاوراق الخاصة .. التي لا شك في ان وجودها سيذل اهم الصعوبات القائمة امام كتابة تاريخ الكويت .

— س. الشطي :

القضية الاولى التي طرحها الاخ عبدالعزيز هي اذن مشكلة المصدر . فقلة المصادر التاريخية هي ابرز ما يواجه من يود ان يكتب تاريخ الكويت . فهل يمكن اعبارها مشكلة حقيقية ، او مشكلة وحيدة ؟

— الانسة فتوح الخترش :

هي تعتبر مشكلة نظرا لقلة المصادر المحلية . كما ان المراجع الاجنبية حلت بتفصيلات الاحداث التي كانت تجري في المنطقة في العهود الماضية .. وكان يكتبها البحارة والرحالة والمعتدون السياسيون ، في رسائل او مذكرات او تقارير رسمية — مؤرخة كلها باليسوم والشهر والسنة — مرفوعة الى الحكومات او ادارة الشركات : اما في لندن او في بومباي بالهند . وكان على كاتبها ان يحرقوا الصدق في رواياتهم تلك ، لكي

الكويت : أغلبها يؤكد الجوانب الخيرة والمجيدة في هذا الميدان — وخاصة ان التنمية السائدة حالياً في الكويت هي التفني بجمال الحياة في الماضي واستكثار أبعاده .. — بينما تحجب عن الضوء وثائق أخرى مجرد احتوائها سيئات ومظالم ! ..
ويمكن إيراد أمثلة عديدة ، ندل جيبها على ان عملية فحص الوثائق المحلية من مختلف الزوايا ، ليست ابداً بالعملية السهلة .. بل على العكس من ذلك تماماً .

— خ. الوسمي :

الوظيفة الوحيدة للوثيقة هي ان تثبت وقوع حدث معين .. أما تحليل أبعاده وجوانبها فيعود الى مايبديه المؤرخ من وجهات نظر فيها .. بحيث تكون الوثيقة أشبه بمحور ثابت تدور حوله وجهات نظر مختلفة لمؤرخين مختلفين .

مثلاً : قد يرى احد المؤرخين في معاهدة معقودة سابقاً بين الكويت وأحدى الدول الأجنبية موقفاً مشرفاً يحق للكويت ان تتخبر به ، لدلالته على انفتاح

او من المفروض ان تكون محفوظة لدى الجانبين : المحلي والخارجي . ولست متأكداً ان كان الجانب المحلي يحتفظ بها الى الان . الا انا نستطيع ان نلقاها لدى الطرف الآخر .. في مختلف الاقطار الأوروبية وفي تركيا ايضاً .. وإلى جانب الاطلاع عليها ، يتوجب علينا ايضاً ان نتعرف الى مختلف الحوادث التي جرت في نفس الفترة وفي أماكن مجاورة وكان لها انعكاس على بلدنا .. الذي هو جبره لا يمكن فصله عن المنطقة ككل ... فنلك الحوادث تجربنا على ان نقرأ عنها وندرسها لكي نعرف ، بالتالي ، الدوافع الى كثير من التصرفات في داخل الكويت . فعلى سبيل المثال : الحركة الوهابية اثرت في الكويت .. وكذلك فعل تنافس القبائل .. وكيان الكويت البحري .. وتوسع النفوذ الإيراني .. والعراق ... وما شابه .

ثاني المصادر ، وأهمها في نظري ، رغم انه ما زال مسدوداً بوجه الباحثين : هو ما تتناقله اللسان : كالأمثال السائرة ، والشعر المروي ، والاساطير الشعبية . وعلى المؤرخ ان يتناولها بمنتهى الحذر ليميز الاصيل منها عن الدخيل ..

— س. الشطي :

أوافق الاخ خالد بالنسبة لما قاله : عن ان ما ترك الانسان في اثر يعتبر مصدراً للتاريخ .. بل هو مصدر تاريخي لأشك فيه .. وبهذا الصدد يحضرني قول قابر : فهد بورسلي ، الشاعر الكويتي الشهير .. شاعره يعتبر وثيقة تاريخية لأحداث ما قبل ١٩٦٠ .
امام الوثائق لا بد من ابداء بعض التحفظات :
وأولها : النظر الى الوثيقة على أنها لتوثيق حدث معين ..

على ان اتف امام الوثيقة واتساءل ان كان يمكن اعتبارها مصداقاً لما كان يدور داخل المجتمع الكويتي .. وهل تسجيل موقفاً شعبياً معينا ؟! ..
والجانب الآخر : موقف المؤرخ من هذه الوثيقة .. التي قد تكون بحكومة بوجهة نظر معينة .. وموقفه من التقارير السياسية المرفوعة الى الحكومات الأجنبية من وكلائها في المنطقة .. هذه التقارير ، ومعظمها غير دقيق ومسيء ، فهي ليست لإعطاء تفسير معين .. بل يجب استخدامها لتوثيق الحدث .. مع استقلال المؤرخ بوجهة نظره للحدث ..

— ع. القصور :

النظرة الى الوثيقة التاريخية يجب ان تتم بحذر . وعلى المؤرخ ان يقف من الوثائق المحلية بالذات موقفاً حايدياً نزيهاً .. فلا يكتفي بها بوردده صاحب الوثيقة من حسنات تؤيد جانبها او تناصر دعوة معينة . على سبيل المثال : وثائق الفوص وحكايات الفواصين في



خالد الوسمي :

الوظيفة الوحيدة للوثيقة هي اثباتها وقوع حدث معين ، أما تحليل أبعاده وجوانبها فيعود الى ما يبدية المؤرخ من وجهات نظر فيها ، بحيث تكون الوثيقة شبيهة بمحور ثابت تدور حوله وجهات نظر مختلفة لمؤرخين مختلفين .

الكويت على العلاقات الدولية الخارجية منذ عهد بعيد .
بينما يأتي مؤرخ آخر ليجد في تلك المعاهدة أجحافاً ومذلة ونهباً للثروة الوطنية .

اذن ، فالتحليل التاريخي يختلف في ما يصل اليه من نتائج .. وتبقى الوثيقة هي الوثيقة . طبعاً ، انا لا اتكلم عن الوثيقة المزورة ، ولا عن التقرير السياسي ... لان التقرير السياسي — رغم اعتباره وثيقة — يظل محكوماً بوجهة نظر سياسية محدودة .

الشعب فيه بشكل ما . ولنا مثال دامع في تاريخ العصر العباسي وكيف طفت شخصية هارون الرشيد على كل ما عداها .. فلم يصلنا عن احوال الشعب في ذلك العصر سوى النزر اليسير من الوثائق والاحاديث .. لان حركة المجتمع هي غير حركة الحاكم ..

— فتوح الفخريش :

.. هل القصد اذن ان تعتمد الدراسة التاريخية اول ما تعتمد الى بحث اوضاع المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قبل الاسباب في الحديث عن الحاكم نفسه ؟ .. بمعنى الا يقتصر الحديث على جانب من الحياة العامة دون الجانب الآخر ..

— ع . المنصور :

كذلك لم يرد اي ذكر لخلافات المجلس .. فالكلام عنها ممنوع .. لماذا ؟ .. بينما كان المنظر ان يسبح بتقويتها — وخاصة ان حديثها ذائع بين الناس الذين

انها اتكلم عن المراسلات التي تمت قبل اعلان الحجابة ، فهنا ، تتحكم المصلحة بوجهة النظر البريطانية ، كما ان للطرف المحلي بالمقابل وجهة نظره الخاصة .
من خلال هذه المراسلات ، ترى ماذا اريد ان اكتب .. وكيف سيكون موقفني ؟ هنا ، المفروض ان يكون المرء واعيا لجميع ظروف محيطه .. لان الانسان انها يتصرف بدوافع محيله .

الذي يتحدث الان هو ان ما يكتب لا يأخذ الصورة المتكاملة عن كل تلك الوثائق . فيلاحظ ان البعض يتعنت ويعتمد ذكر جانب من الامور دون الجانب الآخر .. او يرص بعض الوثائق التي قد لا تفيد هدفه ، بل ربما اضرت به حينما يتناولها مؤرخ آخر بالتحليل والنمحيص . ومنهم من هو جاهل لخفايا ما يدور في المنطقة ، او هو غير مدرك لطبيعة التحولات الاقتصادية واثارها العميقة فيغرق في تحليلات غيبية وابتذال بعيد عن المنطق ...

على المؤرخ اذن ان يعنى بجمع الوثائق .. مع وجوب وقوفه منها بمنتهى الحذر ، عندها يريد ان يبني عليها دراسته واستنتاجاته ..

اما ان يتصدى احدهم لكتابة تاريخ الكويت بأن يتوجه مثلا الى لندن حيث يمتشي بضعة اشهر في التنقيب وترجمة بعض ما يتعلق بالمنطقة ، دونما تدقيق في صحة الاسماء او المواقع الجغرافية ، فان يخرج علينا ابدا بتاريخ للبلد ... بل ربما برسالة او عرض محدود ...

— ع . المنصور :

من اطلاقى على بعض الرسائل الجامعية ورسائل الماجستير في تاريخ المنطقة — وعلى الاخص : ذلك التي اعدتها اصحابها في الخارج — تبين لي وجود فجوات كبيرة في ربط الاحداث وتسلسلها الزمني . فمثلا ، بعد ذكر مراسلات تمت بين فلان وفلان ، من الحاكم وكبير الشخصيات طبعا ، يقفز بك الكاتب الى فترة زمنية اخرى بعيدة ، دون اي كلمة او اشارة الى احداث الفترة الفاصلة او الى احوال الناس العاديين وكيف كانوا يعيشون . فكأنما : ابراد رسالة فلان الى فلان ، هو كل المطلوب من العرض التاريخي ..

— خ . الوسمي :

.. هذا ، بالفعل ، موضوع خليلي يبرر الدعوة الى اعادة كتابة تاريخ المنطقة كلها . قبا لدينا من تاريخ مكتوب ، لا يعدو كونه تاريخ اشخاص معينين ، من حكام ومسؤولين . والحاكم ، عادة ، لا يرمى من وراء تصرفاته واجراءاته والارتباطات التي يعقدها جهاز حكمه ، الا الى تحقيق الفائدة له اولا .. لان مصلحته فوق الجميع ! ... الا اذا كان نظامه ديمقراطيا ، يتمثل



سليمان الشطي :

<http://Archive.heta.Sakhr.it.com>

ان ما ترك الانسان من أثر يعتبر مصدرا للتاريخ ، بل هو مصدر تاريخي لا شك فيه ، فالشاعر الكويتي الشعبي فهد بورسلي مثلا يعتبر شعره وثيقة تاريخية لاحداث ما قبل ١٩٦٠ .

عاصروها — وان يترك الحكم لها او عليها للتاريخ .. في دراستي الحالية لقمر ، من الناحية التاريخية ، وجدت ان الجانب الشعبي معدوم الذكر ، مما اضطرني الى قراءة شعراء تلك المنطقة ، وخاصة شعراءهم الشعبي ، لاستشف بعض الاحداث الواردة في نسايا كلامهم ...

— خ . الوسمي :

اخ عبدالعزيز ، انك تطرح مشكلة اخرى .. مشكلة المؤرخ والديمقراطية .. مشكلة الانسان

والحرية ... بينما للديمقراطية في بلادنا مفهوم سلبي :
فأنت ديمقراطي ما دمت تكتب لصالح المنفعين ، وصالح
الناس الموجودين !.. أما إن بدا لك أن تخالف وأن
تذكر الحقيقة على علاقتها ، فستختفي الديمقراطية من
حوالك على الفور !..

وقضية الإنسان والحرية ، قضية عامة لا تقتصر
على ميدان تدوين الحقائق التاريخية ، بل تتعداه إلى
مختلف ميادين النشاط الإنساني .. والواجب يقضي
بالنضال من أجلها .

على أي لا أقول بأنه يجب أن نتاح الحرية للمؤرخ
لكي يؤرخ . بل اطالب المؤرخ بأن يكون مسادقا كل
الصدق ، وبمهما كانت العواقب !.. وهذا المسدق
الخالص هو مطلبنا من كل من يتصدى لكتابة تاريخ
الكويت .. دون مواربة أو محاباة لإنسان مهما علا
قدره !..

— س. الشطي :

هذا يجزنا إلى الحديث عن الكتب التي تظهر . بين
أونة وأخرى ، متحدثة عن الكويت وتاريخها . ولست
اقصد كتابا معينة .. بل الكتب المطبوعة حاليا في هذه
الناحية . ترى ، ما هي وجهة نظرنا إليها ؟ وهل يمكن
اعتبارها أساسا ومنطلقا لكتابة التاريخ ؟

— ع. المنصور :

الخطأ ، في الأساس ، نشأ عن خوف المؤرخين
ذكر كل الحقائق التي يتوصل إليها ، وإمام مؤلف
النكوص هذا ، لم تجد الدولة بدا من أن تأخذ على
عانتها زمام المبادرة إلى وضع التاريخ المناسب لسياستها
وقد انتقلت المدوى إلى بلاد الخليج ، فصارت الأجهزة
الحاكمية هناك تنشئ لجنا مختصة بإصدار تواريف
مطابقة لرغبات الحكام ، ومتمشية مع سياسة النظام
الحاكم .

— فتوح الخترش :

.. أي مع تسلط الدولة عليها ..

— ع. المنصور :

أجل . ومثالا على ذلك : تكلف اللجنة المذكورة
شخصية علمية معروفة ، بوضع التاريخ المطلوب ،
المنبني فيها بعد من قبل اللجنة . نجد هذا المكلف يشترط
بلفها معينا وعاليا جدا كأي من كل موضوع من
مواضيع ذاك التاريخ .. والموضوع أحيانا قد لا يتعدى
المشرين صفحة ، أو هو قد يصل إلى أضعاف ذلك ،
ثم يصدر التاريخ باسم اللجنة المشرفة !!

إني لأسأل هنا : لم لا تنشر الوثائق مجردة ..
وتترك الحرية للناس لكي يحكموا عليها ويدرسوها

بأنفسهم ؟!

هذا ، وما الذي ينتظر من كاتب يشير إلى نفسه
بأنه « مؤرخ الأسرة الحاكمة » ؟ وبأي جو « ديمقراطي »
قد وضع تاريخه ؟!

— خ. الوسي :

في المجتمعات القبلية ، لا يكتب الكاتب الزائف إلا
لرؤساء القبائل ... لأن التاريخ عند المجتمع القبلي
أنها هو تحركات رؤساء القبائل : وهذا بالنسبة للمؤرخ
المتخلف . بينما للمؤرخ الصحيح : التاريخ هو تحركات
الإنسان عبر التاريخ أوجه النشاط الإنساني في مجتمعه .

— س. الشطي :

في البداية ، طلبت الإجابة على سؤال محدد حول
ما قد يلائمه الراغب في تدوين تاريخ للكويت . ولم
تأت الإجابة بشكل مباشر .. بل كشفت — بعد التحوير
والتدوير — عن أن السبيل إلى كتابة تاريخ الكويت
مزروع بالصعوبات ثلو الصعوبات !!

وبكلية أخرى ، أثار حديثكم المجتمع هذا مجموعة
قضايا :

أولا : النظرة التاريخية العامة .

ثانيا : كتابة الحدث السياسي مجردا عن ارتباطاته
الثقافية والإضغاعية والمحاور .

ثالثا : الجو اللاديمقراطي أو اللاعالي في كتابة
التاريخ أو النظرة إلى التاريخ .

وإذا كانت القضايا أساسية ، بل إنها يراي المشاكل
الحقيقية . إذ ليست المشكلة مشكلة وثيقة أو مراسلات .
فلو كان هناك حرية وديمقراطية ، لوجدت عشرات
الأخبار تاتيكم من أكثر من مصدر مهما كان بعيدا .
مثل بسيط : ذكرت سنة المجلس (في الكويت) ،
كل الذين شهدوا هذا الحدث هم أحياء ،

— ع. المنصور :

.. وكذلك أحداث سنة ١٩٦٧ ..

— س. الشطي :

كلا ، فالحدث التاريخي في سنة ١٩٦٧ حدث
مركب .. نظرا لاشتراك عوامل دولية وعربية ومحلية
متعددة في تشكيله .. والبحث فيه متشعب . بينما الذي
أنتقل به هنا هو مجرد حدث ، حدث داخلي .
وأنا ، إلى الآن ، ما زلت أنتظر الإجابة على ما
إذا كانت النظرة الحالية إلى كتابة التاريخ يمكن أن تؤدي
إلى نتيجة إيجابية ؟! وهل نضمن لو قرأنا الحرية
اللازمة والمحلوقة لكتابة التاريخ ، أن تتغير حينذاك
عقلية الكاتب في تحليله للأحداث وتفسيرها ؟!

البيانات الاولى لنشأة الكويت حتى عهدنا الحاضر
... فبعينه الوقوع في محاذير كثيرة ..

— خ. الوسمي :

تقصد ان الفرصة غير متاحة اذن للانسان
المخلص لكتابة تاريخ الكويت . وليست هذه الفرصة
هي وحدها غير المتاحة له ، بل كذلك : الحرية
والاكتائيات .

— ع. المنصور :

اهم شيء : الاكتائيات . فمثلا : تمتنع جامعة
الكويت عن نشر الكثير مما لديها من بحوث في هذا الميدان
.. لجرد كون الدولة غير راضية عما في ثنايا تلك
البحوث !

— خ. الوسمي :

هذا صحيح .. لان ما يفتقر اليه المؤرخ لاعادة
كتابة تاريخ الكويت ، انها هو الحرية والاكتائيات



عبد العزيز
المنصور :

أهم صعوبة تواجه كاتب التاريخ الان
هي مشكلة المصدر وبما ان المراجع المحلية
شبه معدومة ، فلا يتبقى امامه سوى
الاعتماد على المصادر الاجنبية ، الا ان
المصدر الاجنبي ينقل وجهة نظر صاحبه
الخاصة ...

والتشجيع .

— الانسة فتوح :

.. وكل هذا غير موجود ههنا !..

— خ. الوسمي :

.. والتشجيع المطلوب يجب الا يتم على اساس

شروط ، ايا كانت هذه الشروط !!

— ع. المنصور :

التشجيع موجود .. ولكنه ناقص ، لانه لا يتعدى
المكافآت المالية .. مع وقف تنفيذ موجبات نشر

— خ. الوسمي :
.. او بعبارة اخرى : لو ابحت لنا حرية كتابة
تاريخ الكويت من جديد ، فماذا ترانا قائلين ؟

— س. الشطي :

نعم ...

— خ. الوسمي :

هذا سهل جدا ..

— ع. المنصور :

نقول الحقيقة ...

— خ. الوسمي :

نقول الحقيقة !! نقول اذن بان الكويت هي ما
يعبر عنه المصطلح الغربي : "City State"
او الدولة — المدينة .. شكلت واستطاعت التحول الى
دولة من خلال : نزوحات قبلية ، ومن خلال التطور ،
ومن خلال الاكتفاء الذاتي ..

— س. الشطي :

لا ضير في قيام الدولة ما دامت مقومات وجودها
مستقرة ...

— خ. الوسمي :

.. دولة مكونة من ٤٠٠ الف نسمة .. اي بمعدل
يعادل عدد سكان حي واحد من احياء القاهرة مثلا !
لست ادري كيف يمكن جعل الحقيقة التاريخية يتوافق مع
واقعة كهذه !

— ع. المنصور :

من يعالج التاريخ المحلي ينسى او يتناسى ما يجري
في المنطقة : كان يغفل الباحث في ازمة المجلس في الكويت
التاثيرات العراقية التي تعود الى سنة ١٩١١ .. وكان
ينجاهل المؤرخ الاسباب الحقيقية الكامنة وراء عدة
احداث رئيسية جرت في المنطقة : مثل اغلال الدافع
الاقتصادي للزوح الكثير من اسر كبار تجار الكويت
الى الكويت .

لقد تسنى لي مؤخرا ان التقى باتسيان .. يعرف
بانه مؤرخ من ابناء منطقة الخليج . لقد قال فيما قال ،
بان المطر قد جعل على بلده غزيرا مدرارا وقت ان زارهم
غلان اين غلان !! .. ترى ، ما الذي ننتظره من انسان
كهذا .. اقلبي وسطحي الفكر الى ابعد حدود
السطحية !

كتابة التاريخ ، في المستقبل القريب ، يجب ان
تتحول في رايي الى كتابة مجزأة لمواضيع واحداث
مستقلة ، كان يخصص مؤرخ في ناحية اجتماعية ، و آخر
في ناحية اقتصادية .. وهكذا .. اما ان يظل التقليد
المتبع في كتابة تاريخ الكويت هو تدوين لكل الامور منذ

الجهد المكافأ .. فمثلا : في مكتبة جامعة الكويت الكثير من الكتابات التي يفترض ان ترى النور ، بعد ان بذل فيها الجهد والتمهيس .. ولكنها ما زالت في مطاوي الظلام ..! اتى لا اقول بأنها كتابات كابلة، ولكنها تحمل بصيصا من نور ..

وهنا اود ان اشير الى الموقف الغريب الذي حصل حينما توفي المؤرخ حسين خنزعل - مساحب (تاريخ الكويت السياسي) الصادر منه خمسة اجزاء وصورا الى - منصف البلد - على كثرتها ان استكثت ان تنشر نعي المتوفي ، لعلمها بان السلطات لم تكن راضية عن الاعمال التي انجزها الشخص المذكور في حياته .. وهو المشاكس المنمرد ..! ولم تنصفه غير مجلة (البيان) التي لم ترددها ان نشر مقال عنه (في العدد ٧٦) وعن فضله .. كتبه لها خوصيا احد اعضاء رابطة الادباء في الكويت ..!

المطلوب اذن توفير جو من الديمقراطية ، وان تكون الكتابة من اجل الحقيقة المجردة .. لا من اجل منافع عابرة ومكاسب زائلة ..!

ـ خ. الوسمي :

لكن ذكر الحقيقة بصطدم بمواقف ثلاثة :
الاول : ان تذكر الحقيقة كل الحقيقة رغم معارضة الناس وتهمتهم .
الثاني : التجني على الحقيقة بتزييفها .
الثالث : التغاضي عن مسيطرة الحقيقة الواقع الحال .

ـ الانسة فتوح :

يعنى ذلك ان الحقيقة لن تذكر ابدا ولن يكتبها احد ..! بينما اللازم والواجب يحتم اصدار الحقيقة . مهما كانت النتائج ! وهذا لا يعنى ان نجلبه الناس بالحقيقة ، بل يمكننا ان نذكرها لهم بطريقة غير مباشرة .. بالف والدوران حولها حتى يدركها الناس بالتدريج، تاركين للاذكياء استشفاف الموضوع من خلال كلامنا ..

ـ ع. المنصور :

ترديد ، يا اخت فتوح ، ذكر الحقيقة .. في الوقت الذي نرى فيه التناقض الصارخ بين ما تقدمه الكتب الدراسية - حتى لطلبة الثانوية الكبار - من تحريف في الوقائع التاريخية .. وبين ما يعرفه ابن الكويت عن حقيقة تلك الوقائع التي عاصرها وعاشها ؟! والامثلة وفيرة .

ـ خ. الوسمي :

يجب الا يفهم من كلامنا اننا نريد التخلي عن تسجيل تاريخ الكويت . هذا غير وارد بالطبع . فمهما

يكن ، نحن ابنا الكويت .. ونحن موجودون فوق ارض الكويت بحاضرتنا وماضينا على السواء . ولا بد ان نكتب يوما تاريخنا .. لا بد ان احدا سوف يكتب هذا التاريخ المتعلق بجزء من اجزاء الوطن العربي الكبير .. ولكن ، عليه ان يكتبه باخلاص ، وان يطلب توفير الامكانيات والحرية ليقول ما يريد قوله . ومع ذلك ، وحتى في غياب ما يتطلبه ، فهو سيكتب بالتأكيد .. ولكن ، ربما جعل ما يكتبه خاصا بفئة دون فئة ..

ان ما نطالب به هو : حرية الرأي !
قد اخالفك في الرأي .. ولكن .. يجب ان نتيح لي الفرصة لكي اعرض امامك وامام الناس وجهة نظري .. واتأش وجهة نظرك . ففي مظهر كهذا تتأكد معاني الديمقراطية ..!
اذن ، فلنقل ما نشاء .. انما بشرط ان يكون كلامك سليما وصحيحا ..!

ـ الانسة فتوح :

عند كتابة تاريخنا الحديث ، يتوجب علينا ان ننهي انفسنا لكل الاحتمالات بسبب جهرنا بالحقيقة .
فإذا كانت الكتب المدرسية تزعم بان احد الحكم قد اعطى كرسى الحكم - بينها حقيقة الواقعة التاريخية غير ذلك - فالواجب تلقين ابنائنا الحقيقة ، لا البديل عنها ، ولو اعجبنا بمرغبتها هذا ، الا اجمعين !!

ـ س. السطحي :

في اعتقادي ان ذكر الحقيقة لا يشكل استفزازا مباشرا لاحد ... لاننا لسنا بصدد مقال سياسي آتي ، يناقش قضية عابرة .. بل بصدد عالم رصين يبدي رأيا معينا في معرض تفسيره للحقيقة . وهذا لا يمنع احدا من قبوله ومناقشته .. اذا كان الإحساس بالديمقراطية سائدا .
التفتة الاخيرة هي مسألة : التاريخ الاجتماعي والفكري .

ليس هناك ، على ما اظن ، حركة تسجيل او رصد لمسار المجتمع من حيث تطوره ونموه .. ومن حيث تحركاته الخارجية والداخلية طوال مرحلة التاريخ .. واسباب الهجرة اليه .. ثم ما تشكل في داخل الكويت من مؤسسات اجتماعية وثقافية .. وهي مؤسسات تمثل في الواقع تطورا معينا واستجابة حقيقية لكل المؤثرات الداخلية والخارجية .

فهل في المكتبة العربية دراسة من هذا القبيل ؟
واذا لم يكن مثل ذلك متوفرا بعد ، فما هي الوسيلة لتوفيره ؟

— ع. المصور :

الشعر الشعبي الذي قيل في مختلف المناسبات في الكويت ، يتناول موضوعات على جساب كثير من الامة .. ويظل بحاجة الى من يحلل مرامي البعيدة وبرزها للعنان ، اثباتا لحوية الشعب واستقلاله برأيه .

مثلا على ذلك : ما يثبته شعر « جود بن ناصر » من معارضة — غير مقصرة عليه بالطبع — للممارك التي تشبت وكانت تشب دائها بين عرب الجزيرة المسلمين . فهو يقول في تمسيدته المشهورة : « يا راكين اكوار ستي تباري » — التي انشدها حينما لم يكمل طريقه للاشتراك في معركة الصريف — (وقد هزم بها مبارك) — ما معناه : « اننا اخوان ، يا ايها المخاربون ، والذي تقتل به انما هو سلاح النصارى !! .. فلم متابعة الفتنة ... الخ ... » .

فيما تهازك لجانِب المعارضة في شعر كهذا لشاعر شعبي مشهور ، نكون قد اظهرت اتجاهها معنا برز في الكويت في نهاية القرن التاسع عشر . كذلك : اشعار « الزهري » التي تتعال في البحر ، كانت تمثل غنونا معينة ، وتشير الى انماط خاصة من المعيشة كان يتبعها الناس في زمنهم ، والى اشكال للبناء واوصاف للارباب ...

فاستطاع الرواة الالياء ، وتجهيل ما يتجسج من احاديث اشعار شعبية ، سيوفر لها بلا شك ، ثروة تاريخية عظيمة ..

— س. الشطي :

اود ان انقل الموضوع من نطاق الاشياء — رغم اهميتها طبعاً — الى الانسان نفسه .

فنحن نعلم بان الكويت مكونة من جماعات نزحت في غالبيتها من المناطق الحيطلة . مما اكسب الكويت تكويناً اجتماعياً معيناً ، وتكويناً اسرياً معيناً ، وتكويناً طبقياً معيناً ...

وهذا التكوين بالذات بحاجة الى تسجيل : وانني لاتساعل عن كيفية القيام به على ارض الواقع ، وارض التاريخ ، في آن واحد ؟ ..

— خ. الوسمي :

للتناج الحضاري انما هو انعكاس للتناج الفكري . والتناج الفكري ، بدوره ، محكوم بالموارد الاقتصادي . فالكويت تشكلت وشكلت من ظروف خارجية : الحروب التي حدثت بين القبائل المتواجدة في المنطقة . والامراض التي انتشرت .. ثم هروب تجار البصرة اثر الاحتلال الفارسي للبصرة ، ومصاحبة بعض القبائل لهم ... علما بان الكويت كانت مسكونة من قبل ،

حينما كان سبادو السمك يقيمون في تربطها الساحلي . هذه الظروف دفعت القبائل والتجار الى

الكويت .

اذن ، فالمجتمع هنا ليس جديداً ، انما الجديد هو الارض .

المجتمع هنا كان امتدادا لمجتمع البصرة التجاري ، ومجتمع الجزيرة العربية القبلي . ومن تعايش هذين المجتمعين مما نشأت تصورات فكرية جديدة في مختلف ميادين الحياة العالية .. نستطيع ان نتبين معالمها في تنابش الشعر الشعبي وروايات الرواة . ويمكن اعتبار الشعر الشعبي بالذات — وخاصة في الكويت — احد المصادر التاريخية المهمة ، نظرا لنقله انعكاسات الراي العام وانفعالات الناس امام كل مناسبة : محلية كانت او خارجية .

لذا ، يصح ، بل يتوجب ان نولي تراثنا الشعري الاهتمام اللازم ، بحيث نخرج منه بتسجيل مواف وانجاهات كثيرة لشعبنا عبر مراحل عديدة من تاريخه الحديث .

ولا بأس في ان ندعو الى تجميع تلك الاشعار : سواء تلك التي قيلت في الكويت ، او التي قيلت في مختلف مناطق الخليج العربي ..

— الانسة فتوح :

.. وهذا يؤكد قيام اتصالات فكرية وثقافة بين الكويت وجاراتها .. وهي اتصالات خلفت وراءها مؤثرات قوية في النواحي العلمية والاجتماعية .. وخاصة في ميدان التجارة والنشاط البحري .

— سليمان الشطي :

في ختام جلستنا المنعنة هذه ، يمكن ان نتفق على خط عام ، الا وهو الرغبة الصادقة في كتابة التاريخ ... ونعني بها الكتابة الواعية التي تشمل مختلف جوانب الحياة .

كما يمكن ان نخرج من هذه الندوة بدعوة الى كتابة شاملة لجوانب تاريخية متعددة : كالجانب الفكري ، والجانب الاجتماعي ، والجانب الاقتصادي ، يخصص في معالجة كل منها متخصصون عارفون مخلصون .. ونقل ، بالتالي ، صورة حقيقية .. صورة متكاملة للمجتمع الكويتي .

(نقلها للمجلة : عصام عسيران)

كلمته وفناء



بسم
عبدالرزاق
البصير

ذا اخلاق رفيعة ونفس حرة كبيرة متواضعة تلك على ذلك مسيرته النادرة في هذه الحياة ، فقد تقلب في كثير من المناصب الرفيعة التي تكسب صاحبها خيرا كثيرا غير انه لم يستغلها لتفجعه ، فقد كان ناظرا للمدرسة المباركية والمدرسة الاحمدية وكان مديرا للمكتبة الاهلية دون ان يتقاضى من ذلك مكافأة او اجرا . ولم يكتف بذلك وانما كان من المؤسسين لكل هذه المراكز الثقافية ، بل كان ينفذ ان جيبه الخاص لهذه المراكز الثقافية ، وكان عضوا في اول مجلس للشورى في اول عهد المرحوم الشيخ احمد الجابر ، وكان عضوا في المجلس التشريعي سنة ١٩٣٩ وكانت مسيرته في هذين المنصبين كمسيرته في نظارته وادارته للمكتبة الاهلية والمدرسة المباركية والاحمدية . لم يكتف بالعمل فيها وانما كان من الساعين المجددين لتأسيسها . ولا ينبغي لنا ان ننسى ان الدعوة الى الحكم الديموقراطي قبل نصف قرن من الزمن لا بد ان تعرض اصحابها للخطر ، لكنه كان رحمه الله مؤمنا بان العلم لا يجدي اذا لم يتبعه سعي ذؤوب الى العمل ، وكان قاضيا مدقولة من الزمن دون ان يتقاضى اي اجر على ما يبذله من جهد في تلك المهنة الشاقة .

وكان حازما عادلا في احكامه ، ذا شخصية قوية يعتمد الصراحة في كل ما يصدر عنه ، مما جعل جميع الخصوم يخرجون وهم راضون مطمئنون الى تلك الاحكام سواء كانت لهم او عليهم ، فالجميع يعرفون عنه انه كان لا يتقدم من وراء احكامه الا خدمة الحق والعدالة . ومما يؤثر عنه انه كان حليما في موضع الحلم حازما في موضع الحزم .

ما العلم مجد اذا لم يحبه خلق
ولا الإخاء على جهل بمضمون

فارتقت دنيا بفتنتها
لكل غر هواء القلب مفتون

لا الضل فيها بموف في موائقه
ولا الصديق على سر بهامون

لعلني لا اشرك قائل هذه الابيات في السبب الثالث فان هذه الدنيا لا تخلو من اصديقاء يشاركونك الحزن والفرح ، وهم مستعدون ابدا لقضاء حاجتك حين تحتاج ، وللوقوف معك حين تلم بك الخطوب ، وقد يكونون قلة لكنهم موجودون على اي حال . فغدينا ليست خالية من مثل هؤلاء الاصديقاء وايانا ليست اسوأ الايام ، ونحن نعلم ان الشعراء يشكون الزمان واهله منذ مدة طويلة ويقولون عن كل زمان انه خال من الاوفياء وان الطيبين والنجباء قد ذهبوا ولم يبق الا اناس يشبهون جلد الاجرب ، يقول الشاعر الجاهلي ولعله لبيد :

ذهب الذين يعاش في اكفافهم
وبقيت في خلف جلد الاجرب

اراني قد ذهبت بعيدا عما قصدت اليه ، فانا لم ارد ان اتحدث عن شكوى الزمان ولا عن سجايا الاصديقاء فذلك له مجال غير هذا المجال . كل ما اردت ان اقول انه هذه الابيات خطرت على ذهني وانا امشي في ذلك المركب المهيّب الذي كان يحمل نعش فقيدنا الجليل الشيخ يوسف بن عيسى التتامي رحمه الله . اذ كان

التجديد والنظور في التعليم . وانطلاقاً من كرهه للزئمت فإنه كان يناهض الذين يعتقدون بأن قراءة سور القرآن تكسب صاحبها الثواب مجرد القراءة اعتقاداً على احاديث موضوعة عن الرسول (صلعم) كتوليم (من قرأ سورة كذا غله من الاجر كذا) وقد درجت هذه الاحاديث في كتب التفسير والقصد صرف المسلمين عن العمل والاقتصاد على سور القرآن للنجاة بلا عمل بما فيه ، وكان رحمه الله يستنكر رفع اصوات المستمعين لقراءة القرآن بقولهم « الله . الله » كما كان يستنكر كتابة بعض آيات القرآن في الاواني الزعفران ثم يصب الماء على الكتابة ويحى ويشرب الماء للشفاء .

وصفة القول ان غيقنا الجليل كان من العلماء الذين درسوا العقيدة الاسلامية دراسة عميقة مما جعل افكاره وآراءه صافية كالماء النهر تتركه البدع والخرافات والاساطير ، فهو لا يكتفي بكرمها وانما كان يحاربها اشد المحاربة .

وقد عاش عمرًا مديدًا بلغ قرابة قرن من الزمن وهو موضع الاحلال والتقدير لما قدم من اباد جليلة للعلم وللمجتمع ، رحمه الله رحمة واسعة وما اجدرنا ان نتميل بقول صفى الدين الحلي :

**جل المني جبال الياس معقود
والامن من حدث الايام مفقود**

**والسوء ما بين اشرار الردي غرض
صميمه بسهام الحنف مقصود**

**لا تعجلن في الموت من عجب
اذ ذاك حد به الانسان محدود**

**وللمنية اطفار ، اذا ظفرت
رايت كل عبيد وهو معبود**

عبدالرزاق البصري



ومما يزيدة اجلالا واكبارا في النفوس انه لم يتحدث ابدا عن نفسه ، وانما يترك افعاله تتحدث عنه ، شأنه في ذلك شأن اصحاب النفوس الكبار المتواضعة ، فانها كلما ازدادت عظيمة ازدادت تواضعا ، وهذا ما تلهمه في كتبه حينما تقرأها . فانظر الى عبارته التي اكتبها في مقدمة كتابه « المتكلمات » ، يقول : « وليعلم القارئ الكريم ان المسألة التي فيها خلاف او مستغربة ، اذكر مصدرها ليراجعها ، ورجائي من كل منصف ان يرشدني ان يلت عن الحق فيما كتبت » .

ذلك شأنه في كتبه وفي كل احواله ، لا يغضب من كلمة الحق ، ينطق بها الغير له او ينطق بها الغير . لهذا نجد جو الحرية متوفرا في مجلسه ، يتناقش مع زواره ويتناقشون معه حين تخلف اراؤه وارأؤهم في اي مسألة فقهية كانت او نحوية او تاريخية او فلسفية ، ولقد سمعته وهو يقرأ كتاب « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » و « ظهير الاسلام » للاستاذ المرحوم احمد امين ، وكان يقف عند بعض المسائل التي يخلف فيها العلماء لجري حوارا بينه وبين طلابه وغير طلابه من الزوار تاركا كل فرد من الجالسين يبدى ما عنده من رأي او سؤال . وبذلك يتفجع الجميع ويشعرون انهم في مجلس لا كلفة فيه .

وليس شيء اكراه لديه من المجاملة او التفاني ، فانت حين تقررا كتابه صفحات من تاريخ الكويت تجد جميع ما ورد فيه من اسماء المسؤولين خالية من الانقلاب كما تجد الاحداث التي يرويها واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض . وما اعظم دوره حين تازمت الامور في سائر فقد وضع كل ثقله لكي لا تراق الدماء بين الاخوة المواطنين ، وكان المسؤولون يدعونه للاستشارة حين يشتد الخلاف في الراي كما كان ذلك في ايام استقالة مجلس البلدية ومجلس المعارف ، فكان يبذل مساعيه الحميدة لاعادة الامور الى نصابها وكان النجاح حليفه في كل الاحوال ، وكان يكره الزئمت والتخلف ، فهو يرى ان رفعة البلد تكمن في نشر العلوم العصرية وغرسها في النفوس . وهذا هو سبب الخلاف بينه وبين القائلين على مدرسة المباركية . فقد كانوا يرون ان التعليم في القرآن ومبادئ القراءة والكتابة والحساب والفقه ، اما غيقنا الجليل فانه كان يرى ادخال العلوم العصرية مثل الجغرافيا والهندسة والتاريخ واللغة الانكليزية . وقد تحمل شياق كثيرة في سبيل نشر افكاره المستنيرة ، وكان كل من المرحوم حمد المستر واحمد الحبيضي ، ومرزوق الداود ، وعبدالعزیز الرشيد ، واحمد الفهد ومشعان الخضير ، وعبدالله الملك المبيض وعبدالرحمن النقيب يناصرونه في فكرته ويتحملون معه الدعوة الى

المرأة في الكويت

بين وسائل الحصار
والمقعد الوشير



نقد الى العربية
عصام عسيان

فصل من كتاب بالفرنسية
للكاتبة السودانية
لورنس ديون



٣

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الحجرات الصغيرة سوى سجاجيد حائشة الالوان ، ملتصقة بالارض . وبما انه لا يوجد اثاث ، فالجلوس ههنا يعني الاتكاء على الوسائد . ومن بعيد ، يتناهى الى الاسماع حذاء رتيب برده حارس هذا المكان ، وهو رجل ممن يصاحبه كلبان لا يتركانه ابدا .

لم يكن في الافق اي ضوء ، عند الاطلالة عليه من اعلى الشرفة المسيجة التي ينسبط قبالتها البحر باواجه المتوائمة . اما الصحراء فتعبد سائر الاتجاهات . وتشبهت بي القردان العائنان الجالسان عند حافة احد مسارب المياه المهجورة .. وبذلك جهدا كبيرا في اقناع ابراهيم بالا تقدم لي احدهما . وثبة بقاء يحط على جدار صغير متداع ، لا يني يرخي اجفانه الوردية .

واكتشف عند منحني الشاطئ هيكلا كبيرا لمسفينة شراعية مقلوبة ومحطمة السواري .. لا شك في انها كانت تستعمل من قبل مهربي اللؤلؤ والعبيد ، في ابحارهم عبر البحر الاخير . ففي ايام السلطنة العثمانية ، كان

.. والرجل الهرم .. ما الذي آل اليه حاله ؟؟

— لقد اخفى .. تبخر .. فهو لم يرجع قط !! لعله لم يكن راغبا في تلقي الحد والثناء على صنيعه الطيب ... والعاقل الحكيم لا يفضل بالجميل الا بشرط ان ينسى !

وهذا البيت الشاسع الارجاء ، الخاص بابراهيم ، وهدفنا من مطافنا ، يند بهحاذة شاطئ البحر . وفيه كان ينتظرونا مضيفنا ، صديق احمد . ورغم انه لا يقيم في هذا البيت الحافل بالذكريات ، فهو يأتي اليه احيانا ليحلم .

كيف يتسنى لي ان اصف الامن والصفاء اللذين يستشعرهما المرء بين هذه الجدران .. المتوهجة بالحرارة رغم حلول الليل ؟؟

الهواء هنا غير مكيف ، بل هو نسيم بحري عليل ، يسري خفيا بين اقواس الساحات . ولا تكسو ارضية

يرغب الضيف به . حتى تلك الرغبات المتوقعة منه
والأخرى الشديدة العراية والتطرف .. فقد قال لي
ابراهيم :

— غدا سأخذك لزيارة بيت ابن عمي . انه لم يعد
يقم فيه .. لكنه احيانا يحب ان ياتي اليه ليجلس في
باحته وسط عدد من اصحابه .. ملها كان يفعل في
السابق ..

البيت المذكور بدورين . وقد بنيت جدرانها السميكة
بالطين . ويقع داخل السور الطيني الذي كان يحيط
بالدنية سابقا . وهو بنكور في الواقع من أربعة بيوت
متداخلة .. تخصص فيها حجرة لكل فرد من العائلة ..
ويغرد بها جناح خاص لكل زوجة ..

عبرنا جناح الزوجة الاولى ، لنصل الى باحة
يظللها النخيل .. ومن ثم ، الى غرف كان يبيتها «الصالون
العائلي» . وفي السابق ، كانت ارضية هذه الغرف
تغطي بالسجاد الابريتي .. وكان على من يجلس بها ان
يسند ظهره الى الحائط ، مبتكا على الارائك البيضاء .
وفي الجوانب ، بدت الفجوات فارغة .. بعد ان كانت
في الماضي تزرخ بالزجاجات الملونة ، والمباخر التي كان
البحر يوضع منها ، اما المراس الطويلة العنق الملأى
بماء الورد .. فلم يكن ليستغنى عنها لترطيب الابدني
برذاذا المطر ..

ووصلنا مساحة البيت الثالث .. حيث كانت تعقد
جلسات «الدبوانية» المشهورة ، المقصورة فقط على
الرجال . ~~هنا كان ثمة خادم يجلس في احدى الزوايا~~
مراقبا النار الموقدة تحت دلال القهوة . وتقاليده
الدبوانية اليوم لم تتبدل . اذ يجلس الأشخاص بها
ارضا ، او متكئين على ثخوت خشبية مغطاة بالسجاد
.. يتحدثون . ويرتجلون الشعر .. وينشبدون
على ايقاع اوزان ذلك القصيد ، راقصين على
اهاريجه !..

وفي ايامنا الحاضرة ، غالبا ما تتخذ داخل الدبوانيات
قرارات هامة حول المسائل الجارية نقاشها في البرلمان
.. فتقاليده الموروثة هنا تقاوم بكل سهولة هجمة
العادات المستجدة . و احيانا تتاجأ برؤية ثلاثة ثخوت
خشبية تنع على احد جانبي شارع كبير مرصوف حديثا ،
ويتصدرها جهاز تلفاز ! كما يجلس اليها رجال شدد
ابصارهم الى الشاشة الصغيرة ، واصابع يدهم تعبت
بـ «المسباح» ..

ارفع انني بانجاه سسملح المسكن العتيق ،
فاستغرب وجود ذلك البرج العجيب الذي يملوه !..
ثم اعلم بانته « برج الهواء » — (تعني : « البلكونير »)
— الذي يتبع للرباح ان تنسرب الى الداخل عبر فتحات

العبيد البيض — اليونانيون والقوزاقيون والبلغار
وغيرهم — يباعون بواسطة تجار يونانيين للاتراك ،
الذين لا يلبثون ان يبيعوا بيعهم لامراء البلاد العربية
وغيرهم . اما العبيد السود فيصدهم اواسط افريقيا .
يسوقهم تجار افارقة وبرتغاليون وعرب وانجليز عبر
زنجبار والحبشة والسودان ، ويجتازون بهم البحر
الاحمر ، مخترقين بعدد السحراء بقوافل . اما اليوم ،
فمعظمهم ينتسب الى اسيادهم القدامى الذين كانوا قد
تبنوهم . وهكذا يصحبون مع الزمن جزءا من العائلة ..
وهذا ما يفسر لم يجري فيه اسود في عروق كثير من
الفناني الكويتيات اللاتي قدامتهن . وقد امحت الان نزعة
التمييز العنصري تجاه « الاجعبي » (اي من هو من
اصول غير عربية) . علما بان الناس هنا لم يكونوا
بزوجين — ثلاثين سنة خلت — غير من هم من الكويت
والبحرين وامارات الخليج العربي وجنوب العراق
والسعودية واليمن . بيئنا ، في ايامنا هذه ، اذا كان
يفتخر للكويتي الرجل ان يقتنر باجنبيية ، فما زالت
الكويتية الراغبة في الزواج من رجل « اعجبي » تصطلم
في اغلب الاحيان ، بمقاومة عنيفة من عائلتها .

قلت لابراهيم :

— ومتى كان قدوم ال الصباح — العائلة الحاكمة —
الى الكويت ؟؟

قال :

— هناك عدة روايات حول هذا الحدث . ويحكى ايضا
انه في وقت قدوم قبيلة آل الصباح الى الكويت ~~قال الامة~~
قرون ، كانت هناك قبيلتان كبيرتان تتنازعا على الحق في
ادارة امور هذه البلاد ، وبقي سوء التفاهم فيما بينهما
قابلا حتى توصلت في النهاية الى اتفاق على تنصيب شيخ
قبيلة ثالثة امرا لهم وحكما يدعو الى السلم والوفاق فيما
بينهم . وهكذا تم اختيار الشيخ صباح الاول كاول امير
للكويت !.. والقبائل تبدي احيانا من آيات الحكمة ما
تجهل به الامم ! وابناء العائلة الحاكمة الان هم اما
دبولماسيون او سنياسيون — كما ان منهم من يعمل
بالتجارة ، واخرين يتمتعون بوقتهم على هواهم ..

وتجاه البحر وامواجه الرائحة الغادية ، كنت
اجلس فوق رمل ساخن .. احسني القهوه بالليل يقدمها
الي خادم بمن بلا انقطاع !! فقد سها عن يالي ان اهز
فجائي الفارغ — حسبها تقتضيها العادة — للدليل على
اكتفائي بها قد شربت ..

ودعش ابراهيم لحجاستي واهتمامي الشديد بهذا
المسكن الخالي من وسائل الراحة والرفاهية .. كما
دعش لاحتفائي وغرحي بالذكريات التي توحى بها الامكنة
العتيقة . ولكن ، بما ان اللياقة تقتضي بتحقيق كل ما

.. ولكن هي جذابة : مريم ، زوجة ابراهيم ..
 كما بدت لي فتاة نحيلة الجسم ، رقيقة الخاشية ..
 بثوبها الاخضر القصير .. ومن يتأملها عن كثب ، ويتبين
 فيها نضارة الشباب واقتبال العمر ، يكاد الا يصدق
 انها ام لسبعة اولاد !!! .. اذن ، لا شك ، يا ابراهيم،
 في انك مخلوق عساق .. اتود ان تقترن باخرى يا ذا
 الكرشي المنفتح .. بينما بحوزتك زوجة رائعة كهذه ؟!
 وهل تعتبر رغبتك في انجاب مزيد من الذكور تبريرا
 كافيا لما تصبو اليه .. أم انها مجرد تعلقة ؟!

واسأل ابراهيم :

— وكيف كان تعرفكما ، انما الاثنين ؟

— لم اكن قد رايت ابراهيم قط قبل الزواج ولما
 اشحت عنها الوشاح المطرز ، الذي كان يغطيها من
 رأسها الى اخصص قدميها ، بدت لي جميلة .. رغم
 دنكسة بشرتها — بعكس ما اميل اليه — ورغم نحول
 جسمها .. وقتئذ ، لم تكن تتعدى الرابعة عشرة من
 العمر وعلى عكس ما هو متبع في هذه الاحوال ،
 فقد امضيت ليلتنا الاولى تلك في طمأننتها وتهذلة خاطرها
 وتبديد هواجسها .. دون ان امسها او اتقرب اليها : اذ
 كانت ترتجف !!! ..

وانثناء حديثنا ، توجهت الزوجة الصغيرة الى
 المطبخ لطهي فطيرة اخيرة على ما هيء لنا من طعام.
 بينما كانت الحاديثات الهنديات منهكات في اعداد المائدة.
 الجو كان لطيفا .. وقد حل ببنا ازيز مكيفات
 الهواء ، محل صفر الرياح في ابراج « الباكدير »
 القديمة ... والكتبة الكبيرة الحديثة في غرفة الاستقبال
 لم تكن هنا الا للزينة ، اذ ان العائلة كلها تفضل اقتراس
 السجادة ، عدا (غنيمة) فقط ، وعمرها ١٥ سنة ، فقد
 « تجذبت » فوق احدى الكتبات خشية ان تفسد هدام
 تنورتها « المبني » الجديدة !



موجودة في جنباته . وبواسطة هذه « المدخنة » الضخمة
 يسري الهواء سريعا ، عبر الغرف جيعما .. حتى حجرة
 السرداب الخمسة لفصل التفتظ ، والقائمة تحت
 الارض .

قال ابراهيم متساعرا :

— ريح الصحراء تنشر في سماننا عرائس الهامها
 وانغان ايحائها .. فيبادر مثل هذا البرج الى الترحيب
 بها واستقبالها بالانغام المتردة الصدى كأنها اغاريد
 « الجن » !! ..

وفي الجزء الاخير من هذا البيت الحافل بالقطاطر
 والطلاقات والافواس .. كانت تسكن الزوجة الثانية .

تسالت :

— أما زال الكويتيون يتزوجون باكثر من واحدة ؟؟

٦ — البيت الكويتي بعد التفتظ :

.. اجاب ابراهيم بقوله :

— تقضي التقاليد بالا يتزوج البدوي باكثر من واحدة،
 الا اذا كان الزواج الثاني يخدم مصالح « دبلوماسية »
 بين قبيلتين . ومثل ذلك كان يجري قديما بين حكامكم في
 الغرب .. مع الفارق المذهل في استبعاد الزوجة الاولى،
 لا الاحتفاظ بها . اما بالنسبة للكويتيين الحضر — اي
 القيمين في المدن والقرى — فبعرض المسنين منهم ما زال
 يطبق مبدأ تعدد الزوجات . وعلى الرغم من ان الشريعة
 الاسلامية ، التي تجيز الزواج باربعة — لم تمنع من ان
 التبدل العميق الذي طرأ على العادات ، بفضل معجزتنا
 الاقتصادية ، وفضل الثقافة المعاصرة المتاحة لفنياننا ،
 قد جعل تعدد الزوجات نادر الحصول مع مرور الزمن ..
 بل هو لن يلبث ان يختفي تماما ..

وتابع ابراهيم كلامه تسائلا :

— عيري اربعون سنة . الكون اذن معنا ؟ .. أم هل
 انا سبيء الخلق ؟ .. لك ان تحكي بشائني !! .. فانا
 — بمسراحة — اجدن احبذ يبدأ الزواج بثانية !! .. اما
 ما يمعني .. فاسباب مادية .. اذ ان بمسرف اولادي
 السبعة يدمرني ! ومنزلنا شديد الضيق !! .. الا انه
 ليس لدي غير اثنين من الذكور فقط .. وهذا قليل ..
 فان ارزق بذكور ثلث ذكور .. هو فعلا ما احلم به !!
 ولعل ذلك ان يتيسر لو تزوجت باخرى ؟ ..

قلت :

— وزوجتك ؟ ما تراها غاعلة حينئذ ؟

قال :

— لن تثور . ولكني اخين سلفا بان مشروعا كهذا،
 لن يسرها قط .



وتجولت في المنزل .. ودار بخاطري أن ما به من تجهيزات عصرية للرغاية والنظافة ، يثير اشد الحسد والغيرة لدى الكثير من الباريسيات ، وحتى الأمريكيات ايضا ! ..

في الطابق الأول ، كان جناح الاطفال . وقرب سرير كل من الكبار منهم ، كان ثبة راديو ترانزستور أو جهاز تسجيل .

وجلسنا الى المائدة ، حيث جلست مريم كذلك ، على غير العادة . وقال ابراهيم ، مشيراً الى الوان الطعام البسطة امامي :

— تفشلي ...
ولما وجدني افشش عن الملاق وما شابه ، اعتذر قائلاً :

— عمو ! .. نحن هنا نأكل باليد ..
وبالز — المضح بالزعران وحب الهيل والقرنفل والملوث بالسمن الحيواني — رحت احاول عمل كتل صغيرة .. ولكن الكتلة كانت تكثر كثيراً فلا يمكن التهايل ! .. وعندما امسكت بقطعة من السمك ، تطاير « المرق » عنها بدل البقاء داخلها ! .. (واكلت السمك المشهورة في الكويت هي الزبيدي : سيك الخليج) .
اما لحم الخروف فقد كان اسهل تناولاً . واما تورطي هذا ، لم يكن لينع الاولاد من الضحك سوى حسين تذهيبهم والزمامم باللياقة والادب .
وبعد الطعام ، يغسل الجميع وجوههم بالماء القراح لازالة انثار المرق والدهن عنها ، ثم تدار الفحولة في فناجين صغيرة .

وتبادلنا الابتسام . ولم تكن مريم تعرف غير العربية ، وهذا ما اسف له ، فقد تميت لو استشف ما يخفيه وجهها الهادي من تعابير .. وان تعتد ببني وبينها اواصر الصداقة .

٧ — الزواج

وتعطى ابراهيم ، مضيقاً الى طول هابته سننميرتين وراح يقود سيارة البلايوت البيضاء باسترخاء وكسل ، فدرجة الحرارة تبلغ الخمسين في الظل !!

وفي مناخ كهذا ، تنضو الكويت منها كل الالوان التي تسحقها الشمس اللاهية .. كما « تجمص » او تشوي اعشاب الاثل المسكينة . وههنا لا يقاها في الهواء الطلق — كالشاهد في البلاد العربية الاخرى — اذ ان كل فرد هنا لا يصبو لغير الهواء البارد داخل البيوت والبيوت في الكويت تنعم جميعاً بمثل هذا الهواء .

ويوقف ابراهيم سيارته وراء الفندق بالعمرش ، وبلا اهتمام ، تماها كالدودي وجمله ! ثم هو لا يقفلها

بالمفتاح ، حتى يتسنى لاصحاب السيارات الملاصة دفعها لانساح الطريق لمروهم .

وهذا المساء ، كان يحتفل في اوتيل شيراتون بمراسيم زواج الرجال والنساء كل فريق على حدة .. وفق مقتضيات التقاليد .. وامام الاستعدادات الملاحقة الناشطة في ردهات الفندق وممراته ، راح ابراهيم يستعيد فكريات زواجه هو ، قبل عشرين عاماً :

— كما سبق ان قلت لك ، لم اكن قد لححت وجه زوجتي على الاطلاق قبل يوم الزفاف . علماً بان رؤية البنت قبل تحجبها كانت متاحة للذين يخطبون بنات عمومهم او بنات من الجوار ، (وابن العم كان يتمتع ، في ذلك العهد ، بالامتياز بالنسبة للاقتران بنات الاقارب) . والنساء كانت تتحجب منذ الرابعة عشرة من عمرها تقريبا . اما امرائي ، فلم تكن من قريباتي ، بل من سكان حي بعيد عن حينا ، زوجتها امي لي بقوصية من الخاطبة ..

« ... ترى ، اكان خجلاً ام دلالاً ، تهرب مريم من الالتقاء بأمي في الموعد المصروب لزيارتها لدار اهلهما ، بغية تحمضها عن كتب : من الراس حتى اخمص القدمين ؟ ولكن امي المعادة توصلت في نهاية الامر الى مفاجأة « متوحشتي » الصغيرة ، واستجلاء مكنونها .. وعادت لتصفها لي ، مسبعة عليها من آيات السحر والجمال ما جعلني احلم بها ليل نهار ..

« ... فكان ان وافقت ...

« ... وبعد ان استكمل ابي تحرياته حول سمعة عائلتها ومقدار ثروتها ، توجه الى ابيا وخطبها لي منه . »
« ... ثم بدأ تجهيز العروس لتتلهف الى دار الزوجية .. وتلتفت مريم من اهلهما الاثواب الجبيلة

صدر حديثاً

على ضفاف مجرّدة

شعر ..
فاضل
خلف



سوم لنفهم المفكر

شعر .. محمد الفايز

والهدايا التي لا تعد ولا تحصى . كما سلم اهلي لذويها
مبلغاً كبيراً من المال (●) .

« ثم اجتمع ذوونا لتحديد موعد ارسال « الذرة »
او جهاز العروس . والوقت المفضل عموماً لمثل
ذلك هو مساء الخميس .. لان الجمعة هو يوم عطلة
عند المسلمين . وهكذا تتنافس نساء العائلة — ترافقهن
الجارات والصديقات — في تقديم كثير من الاثواب
المصيفة والشتوية ، والاغطية والعباءات ... مع مبلغ
من المال ، لخطبتي . وقد قامت احدى النساء بحمل ذلك
كله في صرة كبيرة فوق راسها .. بينما كانت الاخريات
يسرخن ويغنيغن على ايقاع الطبلية والذنبك .

« اما الهرج والمرج فقد كان في منزل الخطيبة !..
حيث تقدم اصناف الفاكهة والحلويات والقهوة المرة
والقهوة الحلوة والسكاكر وما شابه من الطيبات ..

« وهنا تنتع الصرة .. وتباري النساء الفضوليات
في امتداح كل قطعة من محتواها . الا ان صرة المال تخفي
سريعا داخل جيب حياتي ، دون الكشف عن مكنونها
ومبلغها ، الذي ستستخدمه مريم في استكمال جهاز
البيت .

« اما والدتي ، فلا تشترك في هذه الاحتفالات .
وذلك ، تمشياً مع احكام التقاليد .. » .

قلت لابراهيم :

... والزواج ؟؟

(البقية في العدد القادم)

● ما زال هذا التقليد برمعي الاجراء ، ويقضي بان « يشترى »
الرجل — ذو الدخل المتوسط — زوجته بمبلغ يتراوح بين مائة
وست مائة دينار (الدينار الكويتي يعادل ١٢ فرنكاً فرنسياً
تقريباً) . وعلى الرغم من ان الجمعية النسائية الكويتية قد
انقعت الحكومة باصدار قانون — يسري مفعول مثل له في الهند
في الوقت الحاضر — بحدد المبلغ المثار اليه برقم معين ، فتيولون
هم من بين اصحاب الثروات ، الذين يطيعونه . اذ ما زال
الكثيرون في الكويت يعيشون بالمظاهر ، ولا يدخرون وسعاً عند
كل مناسبة للفاخر بالهارج !.. الا ان بعض النساء يلتن خسد
النجارة التي يعترن هن مانتها . فتنة طالية اسمرت الى
بقولها :

— لقد رددت للخطيب الذي اخبرني ، « شيكه » الذي اعير
بوجيه بضاعة يباعه له !
والاضافت قائلة :

— لي صديقة انتقت مع خطيبها ، الذي كانت قد اختارته لنفسها
بعد حب متبادل بينهما ، على ان يتبادلا تلبيين اثنين غفط كهر..
وذلك بحضور اهل الطرفين المدهشين اشد الدهشة !..

الجاهلية الصغرى

هَدَّارٌ بِحَرِي ، وَجَبِينِي
مَكْسُورٌ لَا يَحْفَظُنْ مَوْجِهَ
مَوَّارٌ صَدْرِي وَحْنِي
مَفْرُورٌ لَا يَرْحَمُ مُهْجَه
وَحَوَّارٌ شَكُوكِي وَيَقِينِي
قَدْ غَيَّرَ مِنْ مَعْنَى الْبَهْجَه

اسْلَمْتُ قِيَادِي وَزِمَاتِي
لصَغِيرٍ أَمَلُ أَنْ يَكْبُرَ
وَيَبَارِي كَتَرِي أَيْمَاتِي
لِيَحِلَّ لَهُ صَدْرِي مِنْبَرُ
فَتَنُّورٌ حَتَّى أَعْمَاتِي
إِنْ أَقْبَلَ ارْجُو لَوْ أَذْبُرُ

أَبْدَا بِحَدِيثِكَ يَا نَجْمِي
مَا اللَّيْلُ سِوَى صَبْتِ أَسْوَدَ
مَا حُجْمُ الْكَوْنِ سِوَى حُجْمِي
فَاتَّقِلْنِي لِلْفَلَكَ الْأَجْوَدَ
إِنْ نَسَّأَكَ مِنْ غَضَبِ رَجْمِي
لَا تَغْضَبْ ، وَعَلَيَّ تَعَوُّدَ

أَيَّامِي طَاوُوسٌ يَجْهَلُ
مَا خَفَقَةُ رِيثِي فِي حَالِقُ
مَا النَّقْبَةُ تُسْرِقُ مِنْ مَنَهِلِ
مَا لَذَّةُ عَصِيانِ الْخَالِقِ
أَيَّامٌ أَخْشَى أَنْ تَذْهَلَ
مِنْ حِلْمٍ بِحَابِ عَالِقِ

الشَّمْسُ خِيوطٌ لَا تَدْرِي
لَوْ أَرَسَمُ مِنْ خِيَطِ شَكْلَا
ظِلَا أَوْ نَوْرًا مِنْ بَدْرِي
أَوْ عَيْنَا دَامِعَةً تَكْأَلِي
لَكِنَّ الصُّورَةَ فِي صَدْرِي
قَدْ تَأْكَلُ أَوْرَدَتِي أَكْلَا

يعقوب السبيعي

شعر
يعقوب
السبيعي





ARCHIVE
http://archive.oea.sakinit.com

.. وَأَنَا أَنْفَذُ ..



ترجمة ..
فرحان الفرحان

قصة ..
البرتو
مورافيا

تُعوّدت أوامر الزبائن وتلبية طلباتهم بمهمات وتكليفات كثيرة . وفجأة .. لا شيء ، لا شيء سوى الاستلقاء على الأريكة في صالة الجلوس ، ساق فوق الأخرى ، مضموم الذراعين ، وعينان تحدقان في اللاشيء .
لا أريد أحدا أن يسيء فهمي ، فوجودي عاطلا بهذا الشكل ليس مرده إلى أنني فاقدة وظيفتي ، ولكن لعدم

كنت أعمل مراسلا في أحد البنوك ، وعندنا رغبت الإدارة في إعادة تنظيم جهازها الإداري ، صُرفت من الخدمة .

في البداية شعرت بشيء من الضيق والارتباك ، لقد تعودت تلقي الأوامر بأشكالها المختلفة ، بضرب الجرس ، أو بواسطة الإنوار الحمراء والخضراء ،

عملا بعد تلك الايام الخالية من اي نشاط الايام التي اعتبرت صرني من خدمة البنك لقد كنت خلال تلك الفترة عملا مفيدا ، والان اعود لاجل من نفسي مفيدا .

زوجتي كانت تعمل كاتبة اختارل وهي تذهب للعمل في المكتب كل يوم . ذلك الصباح لم تلق على اياها من اومارها . كل ما فعلته ان ناديتي وهي خارجة لتقول لي : اجب على نداءات التليفون واعمل قائمة باسماء من يطيلني . وكان هذا كافيا بالنسبة لي . جلست على الاريكة في غرفة الجلوس ، وانظرت . كما انتظر . . . كنت انتظر رتين التليفون كما انتظر لي زوجتي . شكرا لنداءات التلفون . كل ما علي ان اعمله هو بذل نشاط بالترواج لمدة عشر ثوان وربما عشرين . . او ستين ثانية للعمل كل ساعتين تقريبا . . وهذه في نظري صفة جيدة . . . بالإضافة الى ذلك اذا كان علي ان ارد على التليفون اكثر من مرة واحدة فان علي هذا سوف يكسب صفة منتظمة وروثينية لحد ما . . لقد فكرت في هذه الاشياء وبينما انا غارق في التفكير وقع نظري على طاوله صغيرة بقرب النافذة وضعت عليها آلة الطباعة التي تستعملها زوجتي في المساء لقضاء بعض الاعمال الإضافية . ونظرت الى مفاتيحها وفكرت بالكمية الهائلة من الكلمات التي لا تحصى والتي تكن في هذه المفاتيح . . وفي لحظة صمت هادئة شعرت — اذا جاز التعبير — بشيء من الاخوة تجاهها ، اخ واخت . انا نفسي كنت كهذه الآلة هابدا وغير ذي مائدة منبها لاكون زوجتي موجودة ، وبطريقة ما فان الآلة كانت أكثر انسانية مني على الاقل بسبب صوتها المميز ونشاطها المعقول . . بينا ابقي اغلب الوقت صامتا . على كل حال ، في ذلك اليوم لم يكن رتين التليفون مصدر الاوامر الوحيد بالنسبة لي فقد اكتشفت ان المرء يمكن ان يتعرض للاوامر في اية لحظة ، وعليه ان يكون متاهيا ، منتبها كل الوقت . قرع جرس الباب مثلا هو امر غير متوقع ويعني ان انهض واتوجه الى الباب وافتحه واتبين من بالباب . امرأتان تصرخان وتشجاران في الفناء الخارجي للمبارة يعني امرا لان اذهب واتحقق من النافذة واتبين ماذا يحدث ويجري في الخارج . ينتهي لي سمي تقطر الماء في المطبخ هذا ايضا يعني امرا بالذهاب الى المطبخ وغلق الحنفية . . وهكذا .

طبعي كنت راضيا لانني اقضي الحاجة عند الضرورة ، ولكن الفرد منا لا يستطيع ان يشعر بوجوده من خلال عمل مفرد وحيد كتشخيص حنفية ، او اجابة سؤال بالتليفون ، او فتح الباب . هناك اشياء اكثر اهمية يشعر المرء بالحاجة اليها لاثبات وجوده . . او على الاقل اشياء اكثر تكرارا وانتظاما مثل ان يكون هناك

وجود شخص ما يعطيني الاوامر لاتنفيها . قد يعجز بعض الناس عن ملاحظة الفارق فيما قلته . . ابا بالنسبة لي فان ثمة فارقا وفارقا كبيرا .

دعني اوضح ذلك . بعد ايام قليلة على صرني من العمل وبينما كنت مضطجعا في فراشي محاولا التظاهر بانني ما زلت نائما ، قفوت على صوت زوجتي الذي تنامي الي بئر غاضبية : بريك ماذا تفعل هنا في هذا السرير وفي هذا الوقت من النهار ؟ . . اما تخجل من نفسك ؟ . . تهيسا . . انهض واغتسل ، وبينما اقوم بارتداء ملابس ، كن ذا فائدة على الاقل . وجهز طعام الافطار .

كانت كلماتها ذات مظهر عادي ، وليس لها اهمية ابا بالنسبة لي انا الرابض المتكوم تحت البطانيات فكان لوتعمها علي تأثير يختلف كثيرا . وقلت لنفسني : انهض ، اليس ، كن ذا فائدة ، حضر الافطار . . هذه اوامر . انها اوامر حقيقية . . خالصة . ولا تختلف في حقيقتها واصالتها وحزمها من تلك الاوامر التي تعودت سماعها اثناء عملي في البنك . . وشعرت عند سماعي الاوامر بشيء ما يتسرب من عقلي حتى ساقتي بطريقه اوتوماتيكية . . وفي الحال تخلصت من بطانياتي وتذفت بها . . وضعت قدمي على الارض . . وتوجهت الى الحمام . . فتحت الباب . . وفتحت حنفية الدش . . وباختصار فعلت ما امرت به . . وعندما حنتني نفسي على التفكير بهذه الاوامر ، تحقق لي انها ايضا — اذا جاز التعبير — تتضمن في داخلها اوامر اخرى من الدرجة الثانية . . ويري الثالثة . .

خذ على سبيل المثال الجملة المختصرة . . جهز طعام الافطار . حسنا ، هذا يعني : اولا ادخل الى المطبخ ، ثانيا اشعل فرن الغاز ، ثالثا اعمل القهوة ، رابعا قطع الخبز وحجمه ، خامسا اعد صينية الافطار بالاكواب وعلبة السكر وصحن الزبدة ، سادسا انقل الصينية كاملة الى غرفة النوم وثبتها على الفرائش . الخ اي انه وكما يظهر مسلسل من الاعمال والافعال . الاوامر زوجتي التي لو اخفقتني تسجيل واحد منها ساعة اتلقاه مسوف يكون — وبسبب تعقيدات الاوامر — وضعه موضع التنفيذ بالغ الصعوبة . . اضافة الى ذلك فان هذه الاوامر من الدرجة الثانية تقتضي ضمنا تنفيذ اوامر من الدرجة الثالثة — كما ذكرت لتوي — ومثالا على ذلك : وضع الزبدة في الصينية كان يعني تناول الزبدة من البراد ، ونزع الغلاف الورقي الذي كانت ملفوفة به ونقطيعها بالسكين ، وتنظيم القطع في الصحن . الخ الخ .

ما الذي ينطوي عليه كل هذا ؟ هذا يعني انني تدريجيا بدأت اشعر بوجودي ، وبانني عدت اودي

أعطني أوامراً وأنت أنفند

بهذه الأوامر لا تعاقبني بقدر ما تساعدني على الشعور بالتواجد ، وأنها وجدت من يتقبل وينفذ أوامرها بطريقة أفضل مني .

إلا أن الحقيقة التي تبقى هي أنها قد أصبحت لانهتم بتعيين وتحديد أجباني قبل خروجها في الصباح ، أي التعليمات المعتادة لليوم . والاكثر من ذلك هو عودتي للوضع السابق .. وهو غالباً ما يحدث .. أن أبقى دون حراك هامداً على الأريكة المعتادة في غرفة الجلوس .. بمشايك السيقان .. ملفوف الذراعين ، والمعينان تحديقاً في اللاشيء . دمية حقيقتي في ظهرها مفتاح وفي صدرها زميرك .

لقد بدا يظهر لي زوجتي أنها تحيا بطريقة سريعة مغرقة ، تلبس دون أن تكلفني أو تحادثني ، تعمل تهونها لنفسها ، وتخرج بسرعة دون أن ترد السلام ، وتبقى خارج المنزل طوال النهار ، وأحياناً كثيرة طول الليل أيضاً .

في الوقت الحاضر .. لا نداءات تليفون ، لا احد يعلق الباب ، لم أعد انظف شيئاً .. وتعرضت للشك لأنها لم تعد تطلب مني ذلك . أما بالنسبة للال فقد تعودت على مغطس المعدة المتعدد - وهو الأوامر الوحيدة الآن - واكتفيت بتناول المواد الرخيصة .

وبالنسبة لي أصبح بيئتي يوماً بعد يوم مكاناً للغم والاهمال ، أرضية ممتسخة ، اثاث مبعثر ، صحنون وأكواب وبسخة تبلى المطبخ ، أوراق مهملية في الزوايا ، الملابس على الكراسي ، وسرر غير مرتبة ، كانت زوجتي تلاحظ كل ذلك بوضوح ، وللمرء أن يفكر بأننا غير مهتمة لذلك ، وربما رغبت - على رغم كل تلك القذارة - أن تبلغني امرأ لم استطع أن أتيهه .

في أيام الاحاد كانت تبقى حوالى سَاعَتَيْن ثم وبطريقة عاجلة ، كانت تقوم بتنظيف وترتيب الغرفتين الصغيرتين في شقتنا . وفي صباح احد الأيام استيقظت من نومي لأراها مرتدية ملابسها وبأنها على مفادرة المنزل فيما تجمع حاجاتها بصمت وتضعها في حقائب السفر الملقاة على ظهر السرير .. وقد دأبتنا لفترة طويلة فيما هي تزرع الغرقة جيئةً وذهاباً بين الدواليب والشنط . وبحكم احساسى المعادي فقد ترجمت حركتها هذه الى امر تلقيه

مائة حنفية للفتح والإغلاق على فترات ، بين الواحدة والاخرى فترة محددة .. على كل حال هناك شيء يتعلق بكل ما قلته .. وهو أنني بطريقة او أخرى افضل من آلة الطباخة التي تجلس هناك جامدة صامتة . وسوف تبقى كذلك حتى عودة زوجتي الى البيت .

وحال ان استطاعت زوجتي ان تحظى بوافقة مدير البنك على الترقية والوصول الى وظيفة افضل وأعلى من الوظيفة التي كنت اشغلها سابقاً في البنك . بدأت أوامرها تتخذ صيغة أقوى وأكثر حساساً والزامية مثل : انت لا تصلح لشيء ، عامل زمين ، مستجدة ، اجعل من نفسك شخصاً مفيداً على الأقل ، نظف الصحنون ، اغسل الملابس ، اكو القمصان ، اذهب الى السوق ، اطبخ ، نظف البيت .. الخ الخ . لقد نبذت التعبير المنزلي .

ومن حقها ، كما من حق أي شخص ان يعتقد بان اصدارها لهذه الكميات من الأوامر كان يقصد بمعاتني لعجزني عن الحصول على عمل وادخال القنود الى البيت . ولكن الحقيقة انها يعملها هذا كانت مجرد عصبية عابرة .

سُرور .. ؟

في صباح كل يوم كنت اسجل الأوامر التي تصدرها لي قبل خروجها ، وبعد ذلك كنت انتفها خلال فترة النهار بألية ودقة متناهية . وخلال الفترات النادرة التي لا يكون لدي أوامر للتنفيذ ، كان يتسكك لي أنني أصبحت أكثر اعتماداً على زوجتي كي أبقى موجوداً . انها هي فقط تستطيع ان تجعلني احرك قدمي . وذراعي ويدي ، وأصابعي . ومن خلالها بدأت افهم الشعور بالحب الصارخ المزوج بالمرغان بالجيبيل .

استمر بنا الحال على هذا المنوال مدة سنة تقريباً . بدأت بعدها - ومن خلال لحاحات عابرة - اشعر ان علاقتنا التي كانت تظهر لي ودية تتسدرج نحو الفتور . لقد كانت العلاقة بين آلة الطباخة وكتابت الآلة - الفارسة السابقة - أما الآن ومع كل يوم تتفسر لتصبح أكثر فائكر العلاقة بين عامل التفانيات وتلك الماكينة نفسها .

ربما تكون زوجتي قد أدركت انها بتغليطي الكثيرة



تجعل من نفسك مفيدا بل ان تجعل من نفسك شيئا ضروريا
الان لست ضروريا . واني استطيع استبدالك بمكتبة
اوتوماتيكية ، او غسالة كهربائية او جهاز ليرد على
المكالمات التليفونية اوتوماتيكيا .

اما انا فقد كنت وما زلت في حالة انصياع للامر
الذي تبليغه من داخلي .. بواسطة الالم الحاد الملتهب
في اعماقي وقتلت لها : انا ان ادعك تذهيب .

اجابني بحزم : تعال .. ولا تتصرف كالاطفال .
البس . خذ آلة الطباخة .. احملها وانزل الدرج .
ضعها في السيارة . وساتدير بنفسى امر الشنطتين .
وللمرة الاولى منذ بدانا الحياة مع بعض وجدت
نفسى اواجه موقفا صعبا يتمثل في امرين مختلفين
مختلفين بطريقة او باخرى ، احدهما ينبع من الاعماق
.. يفرض على منها من مغادرة البيت ، والاخر صادر
عنها كي احيل الة الطباخة الى حيث سيارة من تريد
ان تعيش معه .. وفكرت فيها يجب علي ان افعله ..
وخلال ذلك كنت ارندى ملابسى .

لقد اتفقت الشنطتين .. وتوجهت الى حيث
المراة .. واعطتنى ظهرها .. وفي هذه اللحظة بلغ
الحافز الداخلى من الاعماق اوجه وانقضى ان انفذ امره
.. فوثبت عليها .. وصرخت قائلا : انت لا تستطيعين
ان تتركينى ... بينما كنت امصر عقلي بقوة .

حدث كل شيء بسهولة .. ودقة متناهيتين وبطريقة
اوتوماتيكية وشعرت بجسمها يبيل على وهي تترنح
ساقطة الى الارض . سحبني الى السرير ووضعني
عليه مدة على ظهرها وذراعاها بيسوطان الى الخارج ..

الان وقد اصبح الوقت ملانها لتنفذ الامر الاخر
وضعت الة الطباخة في الشنطة المخصصة لها ...
وخرجت بها من الشقة ونزلت الدرج الى الطابق الارضى،
الى السيارة حيث كانت واقفة امام الباب الخارجى ..
وبما انها كانت بمواجهة اشعة الشمس فاني لم اتمكن
من رؤية السائق . وودرت حول السيارة حيث الصندوق
الخطي .. فتحت .. وضعت الالة بداخله . ثم عدت
صاعدا الدرج الى الشقة .. الى الاريكة في غرفة
الجلوس .. سافاي متشابكتان .. ذراعاي ملفوفتان
وعيناى تحدفان في اللاشيء .. منتظرا الاوامر .

على ... امر قاس ومؤلم يدفنى لان استفسر منها عما
يجرى .. لقد انفجر شيء ما بداخلي .. فتحرك لساني
ونطقت شفتاي : ماذا تفعلين ؟

التفتت الى وحدت بي .. واقتربت منى وحبست
على طرف السرير وقالت : تولىو ، لقد حانت اللحظة
التي يجب ان تنفصل فيها ، لقد حاولت بكل طريقة
ممكنة ان اجعلك تنهم ، ولكنك صممت على ان لا ترقى
لذلك وجدت نفسي مضطرة لان اخبرك بان زوجنا
قد انتهى . لقد وجدت رجلا يحبني ، وانا احبه . ولقد
عشت معه طوال الشهرين الماضيين . وفتح بي يان
وجودي هنا لا يمكن ان يستمر . انك لم تلاحظ ذلك ،
وعلى كل حال فاني لن اخذ معى سوى هاتين الشنطتين
والة الطباخة ، والان اطلب منك ان تكون طيبا ولطيفا
كما كنت دائما . ان الرجل الذي سوف اذهب معه
ينتظرني في سيارته خارج المنزل . لذلك ارجو ان تحمل
آلة الطباخة وتأخذها الى حيث سيارته . هذا كل ما
اطلب .

وهنا شعرت بالمرهيب في اعماقي .. يمزقني ،
وبحكم الاحساس فقد ترجمته الى امر تبليه على نفسي
وشعرت برغبة لان اتاجوب عكس ما امرتني به . وقلت
لها : لا يمكنني ان اعيش بدونك .

انها الحقيقة . فيدون تلقى الاوامر منها لا يمكن ان
استمر ، الا انها ترجمت كلامي بما يتناسب ورؤيتها
للموضوع واجابني : من المؤسف ، ولسوء الحظ ان
اعلمك باننى ومن جهة اخرى استطيع ان اكون في حياة
افضل بدونك . صحيح انك تحاول ان تجعل من نفسك
شخصا مفيدا ، الا ان العلاقة بين زوج وزوجه لا يمكنها ان



تجارب من الشعر

بقلم الدكتور عبد الحكيم بلبح / استاذ الادب بالجامعة الليبية — طرابلس

— الحلقة الأولى —

تلق حيرة ورفض لكل ما يتنامى مع حريته وكرامته وشرفه مصرية . ومن حيث الشكل الموسيقي فمعظم هذه التجارب يلتزم موسيقى الشعر الحر وهنا احب ان اقرر ان الشاعر بنبط معين من انماط الصباغة الموسيقية طالما كان قادرا على استخدام الشكل الموسيقي الملائم لطبيعة تجربته وموقفه النفسي والتحمل لمطاة الإيحاء التي تحققها موسيقى الشعر بوصفها وسيلة من أبرز وسائل الإيحاء فيه ، وسوف نرى قصيدة في هذه المجموعة للشاعر الحساني عبدالله ينظمها من وزن تقليدي ضيق هو مخلع البسيط ومع هذا لم تشعر بتحكم هذا القيد الموسيقي في السباق النفسي او الفكري لتجربة الشاعر ولكنه يستخدمه في مهارة واضحة .

ومن هذه التجارب التي نتحدث عنها في هذه الحلقة تجربة بعنوان « مرثية صديق كان يضحك كثيرا » للشاعر صلاح عبدالصبور . صلاح عبد الصبور شاعر مقتدر يقف في مكان واضح من حركة الشعر الجديد في مصر خاصة ، وهو منذ ان نشر ديوانه الاول « الناس في بلاد » يقوم بدور ملحوظ في تأصيل هذه الحركة والانفتاح بها ، ثم جاءت دواوينه التالية لتؤكد نموه المستمر في مجال الإبداع الفني . واذا كانت حركة الشعر الجديد تقسم على طائفة من السمات المشتركة فان صلاح عبدالصبور

نتناول في هذه الحلقة مجموعة من التجارب الشعرية التي تعبر تعبيرا واضحا عن طبيعة الرحلة التي تلطور اليها الشعر العربي الحديث والذي أصبح من اوضح سماتها ان هذا الشعر قد أخذ يتغير ويتحول ليأخذ مكانه في معركة الحياة ، وليتوهم بدوره في الفصل في قضايا الصراع البشري الذي أخذ يتأزم ويتفاقم يوما بعد يوم في عالم الانسان الحديث ، فعذه القصائد التي يذور حولها حديثنا في هذه الحلقة تقدم لنا — على تفاوت فيما بينها في درجة الاستواء الفني — الوجه الجديد للشعر بكل ملامحه وسماته ذات الرؤى الجديدة لمعاني الحياة وواقفها ، وذات التعبير القوي القادر على الإيحاء والناتج وكشف المواقف وتفسير الحقائق ، ويمكن القول بان هذا الوجه الجديد قد نفخ عنه كل اصباغ الوجه القديم او على الاقل نفخ ما فيها من مبالغة وخداع وتسطيح للوقوف واتداد افقي بالمصياغة ، واصبح يعتمد اولا وقبل كل شيء على حرارة التجربة وحيويتها وصدقها ثم على استغلال كل موارد الإيحاء الكامنة في خلايا الكلمات والتعبير والنسيج الفني بشكل عام .

والسمة الغالبة على تجارب تلك القصائد التي نقدمها انها تسير في الخط الواقعي المتعاطف مع قضية الانسان ، المتلاحم مع وجدانه ، الراصد لكل ما يعانیه من

**وارتفعت حكيمته حتى مست قبله
فتمسكه بالحكمة
غاب الندماء فلم يقدر ان يتحول خيرا
ونفتت كرفيف الخبز**

ومن التجارب التي نلتقي بها هنا تجربة للشاعر فاروق شوشة بعنوان « الوهم » وفاروق شوشة يمثل مرحلة متقدمة من مراحل النضوج الفني في تجربة الشاعر المعاصر حينما يتجاوز دور الاجترار الى دور الامسالة والمعاينة الحقيقية والابداع الحي ، وتجربة « الوهم » لحظة من لحظات الاندماج الصادق والانفعال العميق بأزمة الانسان الذي اغلقت في وجهه كل منافذ النور حتى سقط في غياهب ليل عريض وانقلته احوال وهم مطبق يملأ عليه جوانب الحياة فيشغته ويسحق فيه كل احساس بقيية الانسان .. وكرامة الانسان ... وحرية الانسان . وفاروق شوشة ايضا يوظف الرمز توظيفا جيدا لا يحجب الرؤيا ولا يفلت جوانب السياق، وصوره مفعمة بالحياة والتلاحم العضوي والقدرة على الابشاء واعطاء كل ابعاد التجربة حظها من الامتداد والتلون .. اما موسيقاه فهي عنصر هام من عناصر سماعته يستغني به عن غنى مرفه بلائم دائها بين حركتي الانتفاع الداخلي والخارجي .

يقول فاروق شوشة في المقطع الاخير من قصيدته:

**اسأل يا مؤدبة السؤال
هل آن ان نعود للبراءة
لفطرة الانسان حين يملك الانسان
بقبض كفيه الضئيلتين زهوة الحياة
هل آن ان نعود للجرأة
لفطرة الانسان حين يؤمن الانسان
بقدرته القريب ان يلاطم الموج وان يتجاوز الردى
بحثا عن النبوة
هل آن ان نعود للقراءة
لفطرة الانسان حين يعرف الانسان
حقيقة الذي بقى
وجوه الخبيء في بقية الزمان
اسأل من يجيبني اذا سألت
وكلكم يسافر الملال والهوان
هل تعرفون قيمة الانسان
كرامة الانسان ... حرية الانسان**

ومن تجارب هذه الحلقة تجربة بعنوان « حب للمغرب » للشاعرة « فوزية برون » وهي تجربة وطنية صادقة تمثلي بها نفس الشاعرة ويزفر بها وجدانها الذي ينشد حرية الحياة وسلام الوجود على ارض

يظل له عالمه الخاص بمضموناته وصوره ورموزه وكلماته وموسيقاه كلها تشير اليه وتميزه ، وهذا العالم الخاص يتضح أكثر ما يتضح في ديوانه « تأملات في زمن جريح » كما يتضح في هذه التجربة التي نتحدث عنها ومضمونها او محورها النفسي لحظة انعزال وموت يعانيتها الانسان حينما ينفذ عنه الناس ويبقى في عالمه غريبا ووحيدا والانسان حينما تصديه قسوة الحياة لا يمكن ان يعيش وحده لانه يبدد كل آلام حياته واحزانها بين يدي الناس فاذا هم انفضوا من حوله فانه يموت . والشاعر يصور هذا المضمون الانساني في نسج فني جيد تتأزر فيه الحروف وتتابع الصور بسيطة ومركبة لتلقى المشقة كلها في المقطع الاخير من القصيدة ، وهو يستخدم الرمز ولكنه يوظفه توظيفا ايجابيا بالغ الدقة ، اما معجبه الشعري فهو جزء من عالمه الفني الخاص انه يستخدم احيانا الكلمات العادية ويخلق فيها احساسا اقوى من طبعيتها .. وهو احيانا يستخدم بعض الكلمات التي قد لا تكون لها اصول معجبية ولكنه يصر على استخدامها لانها تحمل ايقاعا خاصا قد لا يوجد في غيرها . من هذا قوله مثلا في هذه القصيدة :

**ويخشش في ذيل الضحكات المرسل
صوت تكسرى قشر الجوز المقل**

فكلمة يخشش ربما لا يكون لها اصل معجبي ولكنه يأخذ الخشخشة من صوت تكسر قشر الجوز وفي تصويري انه مهما كانت دلالة الكلمة القائمة على مجرد الجرس فان ذلك لا يسوغ استعمالها ما لم يكن لها اصل لغوي معروف ولا سيما اذا كنا نكتب شعر معجبي فحسب الشاعر بالكلمة العامة لا يعطيه حق استخدامها في شعره مهما كانت مبررات ذلك الاستخدام . ونعود الان الى المقطعين الآخرين من قصيدة الشاعر صلاح عبد المصور نلري فيها خلاصة تجربته وجملته خصائصه الفنية التي تحدثنا عنها يقول :

**كنا وصديقي في آخر ساعات الليل
نحول عاصفة مخبورة
نتخذ فوق ملائنا
تجعلنا نهتز ونفصخ
تجعلنا تكسر
حتى تبدو كتلا متشابهة متكررة متألقة
من انسان فرد متكسر
.....**

بات صديقي امس
اذ جاء الى الحانة لم يصبر منا احدا
اقمى في مقعده مخفوما بالهبة حتى انصدم الليل
لم يصبر منا احدا .. سألت من ساقيه الهبة

تجارب هن الشعر

ولتلقى بعد هذا بتجربة « الربيع الراحل » للشاعر « الحسانى عبدالله » و« الحسانى شاعر يحب فنه ويعيش له ويعانى من أجله دائما حدة الإحساس بضرورة التطور ومن أجل هذا فهو ينمو دائما ويتطور دائما ، وهو يمارس فنه باصالة وصدق وتنضج ذاتيته في أنه يدخل تجربته دون أن يفرض عليها شيئا . ولكنه يتركها لتفرض هي أسلوب صياغتها مؤبنا بأن الفن الجيد هو ما كان قادرا على الانقياس والتأثير وأن الشكل القديم بكل قيوده الموسيقية لم يء بكل طاقات الإبداع لن يملكون ادواته، ومن أجل هذا فأننا نراه في هذه القصيدة يستخدم — كما اسلفنا — وزنا ضيقا من الأوزان التقليدية وهو مخلص البسيط ولكنه يستريح تماما داخل هذا الوزن ويطويع مع قافيته العينية المطردة تطويعا ماهرا للتعبير عن تجربته .

وتجربة « الحسانى » هي تجربة الإحساس بالإنسي والمرارة وموتن الأمل في حب جف عوده وأمل نفسه، وهي أن كانت من ذلك النوع المألوف المتكرر إلا أنها تشمو نوا رائعا داخل هذا الإطار الجميل الذي هبناه على القاص والحرارة الموقف يقول الشاعر :

ذات ربيع ففتح قلبي
وقلت فليدخل الربيع
وكننت أنت التي اهلت
فالتفت المطرق الوجيع
أجال طرفا وه كفا
كانما مدت .. الضلوع
وارتفاع لما ذهب عنه
كانه طفلك الرضيع
يصدى إذا فجأة توارى
ثديك يا أمه يجوع
ولم يزل مذ رآك طفلا
في عينه وجهك الوديع
غير اختيار وباختيار
يصبغه حسنك المطيع

الوطن العربي ، أنها تحب وطنها وتغني له وتعلق شعارات هذا الحب على كل الجدران السمر وفي كل الشوارع ، ومن خلال هذا الحب تنفجر في إعابها كل معاني الأمل في أن يشرق فجر الحرية على أممناق الأرض العربية .

وواضح أن الشاعرة تتبعت بقدره فنية تظهر في بعض جوانب صياغتها ، ولكنها في معظم الأحيان تعتمد على الانقياس المباشر الذي تملو فيه الثبرة بيننا نقل القدرة على الإبداع ، وهي أحيانا تستخدم الصور في عرض أفكارها ولكنها صور تفتقر عنصر التلاحم الذي يصمد الموقف وينمو بالفكرة فتبدو وكأنها الوان باهتة أو رموز غارية عن الدلالة .

تقول الشاعرة في المقطع الثاني من القصيدة :

عفوية صليت للأطفال لم يعرفوا ما معنى الطفولة
علقت رمشي بالسماء الحلوة اللون للحبيبة
عانقت وجه الشعب يا شعبي المفبوق في ليل الأعاصير
الثقيلة

ففي هذا المقطع نحس بالمهارة الحرفية أكثر مما نحس بالصدق الذي يجمع كل عناصر الصياغة من أجل توصيل الفكرة على مستوى جيد ومقتنع ، وفي تصوري أنه لا توجد شريحة قرى بين تلك الصور التي تؤلّف هذا المقطع ، ولست أدري لماذا لم أحس بشيء من التعاطف مع الصورة التي تقول فيها في المقطع التالي :

شراييني حبلى بحب الثرى الأخضر

لأنه إذا كان الأصل في الصورة أن تساعد على إثراء الإحساس بالفكرة ، فإن هذه الصورة في اعتقادي قد خفقت الفكرة والمفاسات وصاغتها ، وعلى أية حال فإن هذا لا يخفي روح الشعر الذي يسري في بقية أوصال القصيدة وأن كان الحس الموسيقي لدى الشاعرة يحتاج إلى شيء من التصحيح . تقول الشاعرة لشعبها :

أحب فيك الصدق في الإحساس دفقات ندية
أعطيك قلبي البض يا شعبي المعذب
أبارك الأشواك أكليلا لأرأسك
وأغني ملء أعماقي حبا
أحبك يا مغرب
يا حلم .. يا أهلي الأجيبة .

تتداعى الجدران وتنهى
عندئذ نلمس قلب الأشياء
نلمس قلب الأشياء
نلمس قلب الأشياء

والشاعرة ترصد هذه اللحظة في نهاية القصيدة
بعد ان تقطع اليها رحلة طويلة في قلب الكائنات وكأنها
تريد ان تقول : ان الرؤيا الحقيقية للحياة ، واكتشاف
الجوهر الرائع لهذا الوجود ليس في ان يغوص الانسان
في اعماق هذه الكائنات ، ولكن في تلك اللحظة ..
لحظة الحب المطلق التي يستوعب الانسان خلالها اسرار
كل الكائنات .. وهنا يلمس قلب الأشياء ..

والصور التي استخدمتها الشاعرة في تصديتها
هذه لا تكاد تحقق نوعا من الدلالة الخارجية عن كيانها
المعنوي فهي صور مباشرة تعرض الفكرة ولكنها تقيدها
ولا تهنئ بها اي نوع من الامتداد تقول :

ان المس قلب الأشياء
انقلقل في الشجر المبتد الانبياء
انهدي في الخضرة

انوعبج في الثمر العذب الارواء
واغوص بعمق البحر واكشف الأشياء
انسلل في اللؤلؤ في اعشاب البحر الخضراء

وهكذا تستمر القصيدة والشاعرة معها تذوب في
كل شيء في هذا الكون حتى تصل الى اللحظة التي تتفجر
من خلالها الحقيقة .

دكتور عبدالحكيم بليغ
(للبحث بقية)



وامرع الجذب من رؤاه
وازهرت حوله الربوع
وانست ليلة الاماني
فما ليلاته .. هجوع
اذا غفا حالما هزيعا
ايقظه حالما هزيع
وفاح في الكون منك نشر
فكله كله .. يضوع
لتخفق الريح يا سماي
احببت فلتنثر القلوع

وهكذا تأخذ التجربة مسارها ويبث بها الشاعر
عبر هذا الخط النفسي الذي تغمره النشوة بافراح الحب
وسعادته واذا بالربيع يذوي واذا بالخشب يجذب
ويتسأل الشاعر في مرارة وحسرة وتجعج :

من اي فج سعى اليه
الخراب حتى عفا الزمان
اجابني الصمت قلت صبرا
يا ايها المجهود الوجيع

وتجيء بعد هذا تجربة اخرى بعنوان « ان المس
قلب الأشياء » وهي للشاعرة « ملك عبدالعزيز » وهذه
التجربة تتضمن كل ما نعرفه عن شعر « ملك » من
عذوبة وشغافية وامتلاء بحرارة الاحساس ورقة العاطفة
ثم حفاوة كبيرة باختيار كلماتها الشاعرة الرغبة التي
تحول بين يديها الى عوالم صغيرة تخدمها بدلا من ان
تستخدما . ومحور هذه التجربة لحظة احساس عميق
يعيشها الانسان في روعة الحب الصادق فتفتتح امامه
مخاليق الحياة وتجعله قادرا على ان يلمس قلب الأشياء
تقول :

حين نجود بسر القلب
حين نجود بفيض الحب

جول فيرن



كان نجاحه عظيماً لدرجة أن الاسطورة خرجت من عقله
لتصبح حقيقة من واقع الحياة .

قصص جلاء بالحقائق من الخيال

جمتم / اندريه كاستيلو
ترجمة / لطيف م. دمياطي

جول فجأة عن المنزل . وقالت مربيته انها شاهدته
يخرج في الصباح ولم تره بعد ذلك . فهل ذهب ليستحم
في نهر اللوار الواقع تحت المنزل ؟

في يوم من صيف عام ١٨٣٩ ، أبان حكم لويس
فيليب في فرنسا ، خيم جو من القلق على منزل الحامي
بيير فيرن في شنتاي قرب مدينة نانت . فقد تقيب الصغير

« عشرون ألف فرسخ تحت البحار » ، « الجزيرة العجيبة »
« الطواف حول العالم في ٨٠ يوماً » ، « ميشيل ستروغوف »

● جول فيرن « Jules Verne » كاتب فرنسي ولد في نانت ،
(١٨٢٨ - ١٩٠٥) . من مؤلفاته « من الأرض الى القمر » ،

مدهشى . فقد ابتكر جزيرة خيالية سماها « جزيرة فيسود » وجعل منها علما على كل شواطئ « القارة » ، حيث قام اصحاب السفن التي كانت تبحر عباب البحار في مستهل القرن الثامن عشر ببناء مستودعاتهم الكبيرة لتستقبل « توابل الشرق وعطوره » ، كما صورتها قصص « الف ليلة وليلة » . فهناك ، على شاطئ تلك الجزيرة الخيالية ، كان الطفل يستطيع ان يرى من وراء المستعمرة الهولندية الصغيرة شراعات السفن الكبيرة التي كانت كل منها تجلب واحدا من احلامه . فلا عجب ان نراه يقول فيها بعد على لسان واحد من شخصياته في قصة « الشعاع الاخضر » : « اننى لا استطيع ان ارى سفينة تبحر عباب البحر بغير ان اجد نفسي على ظهرها ! »

وفي تلك التصورات التي كانت لا تزال نجة كان جول الصغير دقيقا جدا في استعمال خياله . فحتى في الاهراء التي اكمل بها ذلك النشاط البحري الذي قام في بخلته لم ينس الخزان القوية التي كان ربانته السن واصحابها يحتفظون فيها بوثائق الشحنات التجارية ، بل انه لم ينس اساء المنسوجات القطنية وغيرها من الكمكسات التي كان يترنم بها عقله قبل ان تصبح اغنيات في رواياته .

يسخر من حقارة مظهره

ونرى اعوامه ، فلا يسع جول اخيرا الا ان يودع احلامه / المبتدأ الان الى باريس لدراسة القانون . والا من الذي يخلف والده في مهنته ؟ ولكنه يريد ايضا ان يكون كاتب مسرحيا !... وتحقق امنيته بعد وقت ، او شيء منها على الاقل . ففي شهر يونيو من عام ١٨٥٠ يقوم الكسندر دوما بتقديم مسرحية كتبها الشاب الطوبوع بعنوان « القش المهنم » . وبالرغم من روعة هذا العنوان الذي ربما كان قد جاء رامزا الى حالته الشخصية ، لا تعرض هذه المسرحية اكثر من اثنتي عشرة مرة .

في ذلك الوقت كان يعاني من الفقر والحاجة ، فقد رأى ان يعتد على نفسه ، واشتغل كاتبا بمسرح غنائى لقاء مائة فرنك في الشهر ، وهو مبلغ ان كان قد يمكنه من تناول وجبة ليتناسى اخرى فقد تركه عاريا الا من بعض الاسمال !

وينظر الاديب الباس الى حاله في حيرة ، ويلتفت الى ملبسه في عجب ، ثم لا يسعه اخيرا الا ان يضحك

وشهقت امة في نزع : هذا اللئل لا بد ان يكون غرق ، كما حدث لابن عم له من قبل ! والتف اطفالها الاخرون حولها ليكون خوفا على مصر اخيم .

ثم جاء بحار يعدو ، فقال انه شاهد « السيد جول » ينزل في زورق صغير للوصول الى الباخرة « كوراليا » التي كانت تناهب للإبحار الى الهند . وصاحت الام ثائية في جزع :

— يا الهي !... الهند !

واسرع بغير غير الى المرفأ . وهناك علم ان « كوراليا » قد اقلعت من قبل ، ولا بد ان تكون وصلت الى « بيمبوا » . فكيف يمكن للحاق بها ؟ من حسن الحظ انه وجد زورقا بخاريا على وشك الإبحار الى ذلك الميناء الصغير . وقد نجح في الوصول قبل ان ترفع السفينة مراسيها . فلما صعد اليها وجد جول الصغير قد انضم الى البحارة وارتنى لباسهم . وكان الوجوم يبدو على وجهه الصغير الذي تهطل عليه خسلات من شعره الحلق زائده جمالا . فبعد ان سارت السفينة قليلا شأب الى رشده وبدأ يشعر بالخوف .

وحينما عاد به ابوه بدأ يستفسر منه وهما على ظهر الزورق عن سبب اقدامه على ذلك . فجاء رده غريبا ، لا يخلو من طرافة . فالسيد جول الذي لم تكن سنه تزيد كثيرا عن اثني عشر عاما كان يعاني من تجربة عاطفية عنيفة ! فقد وقع في غرام ابنة صبي كارولين . ذات الخدين الورديين . غير ان لقاءها لم يكن سهلا . فقد كانت تعيش حينئذ في الدير ، حسبما اختار لها ذووها . فكان يكثف باهدائها بعض الزهور ، يمررها لها من بين قضبان الحاجز كلما وجد فرصة . ثم رأى اخيرا ان هذا لا يكفي دليلا على صدق الحب ، بل يجب ان يقدم لها شيئا انفس تيمية . فماذا يكون هذا الشيء ، ان لم يكن عقدا من الرجان ؟ واين يوجد الرجان ، ان لم يكن في الهند ؟

رحلات في الخيال

وضع جول في غرفة بالمزل لقاء مدة العقوبة التي تتركها والده . وفي ذلك السجن الانفرادي الذي حكم عليه بان يعيش فيه على الخبز والماء بدأ يشعر بمزيد من الندم . وحتى لا تعاوده مثل تلك الفكرة الخيما خاطب نفسه قائلا « كلا ، فلن اسافر بعد الا في الاحلام ! » .

والواقع ان احلامه لم تلبث ان تجلت بشكل

وغيرها . وكلها قصص مغامرات وضعت في لكاء خارق حيث نجد

النبرة العلمية ترددها فيها دائما .

« لا روس »

ملء قلبه ، ساخرا من نفسه ، او من الحياة ، او من اوضاعها الغريبة ! وتستبد به النكتة ، فمرى ان يشرك معه امه في تهكمه على الحياة ، ويكتب اليها مثيرا الى ملابسه الداخلية :

« لقد ماتت ، فلم يكن في وسعي الا ان اقوم بدفنها بها هي جديرة به من مظاهر التكريم . اما ما سارتديه في الشتاء القادم فليس اباي الا ان ابحت عنه في سهول « بري الخضر » ! »

ثم يترك الملابس الداخلية ليتناول بسفريته تمهاته فيقول :

« لقد تدلى كم واحد منها في كم « الجاكيت » فلم استطع تمييز احدهما من الآخر . اما الثاني فقد اصبح في هلولته مجموعة خيوط ولم يبق متماسكا منه الا « الياقة » . اوليس الاصوب اذن ان اعتبره « ياقة زائفة » بدلا من ان ابقي متوها انه تيمس ؟ »

والواقع ان جول فرين كان يتميز بالسلوب ساخر يستعذبه القاري فيقبل عليه ليسخر معه بدوره ويضحك . وكان يجد مادة مناسبة في حياته التي امتلات بالؤس بينها كان لا يزال شابا تتطلع نفسه الى حياة تلمن وتسر . كان قد شهد على عقد زواج صديق له في مدينة نانت ، وقد لاحظ حينئذ ان ذلك الصديق كان ينظر اليه بغر ارتياح ، فكأنها كان يرى ان جول قد شعر بالغيرة منه في ذلك الزواج . فكذب اليه في نفس البريد :

« تذكر انني ساستدمي يوما ، ان عاجلا او اجلا ، لاقدم التمازي لزوجتك . وما من شك في انك تعلم ما هي مشاربي ! »

وبالرغم من كل تلك المتاعب فانه لا يكف عن محاولاته في كتابة مسرحيات . وفي عام ١٨٥٥ يكتب قطعة تهيئية من نوع « الاوبريت » فعرض ثلاثين مرة .

يتزوج ويصبح سمسارا

جول فرين يريد الان ان يتزوج ، فيكتب الى امه : « انني اريد ان اتزوج ، ويجب ان افعل . فليس من المستحسن ان تبقى المرأة التي تريد الزواج مني معلقة . »

وعندما يعود الى دراسة الخط الذي سارت فيه حياته يجد انه بلغ التاسعة والعشرين وانه يقيم في مدينة اميان . اما المرأة التي اراد الزواج منها فاتها — كما كتب لامه — ارملة شابة تدعى اونورين دي فيان ، لها بنتان صغيرتان . وقد صمم على الزواج منها مهما كانت الاحوال .

انه يعلم انه لا يستطيع ان يتزوج بينما هو يرتدي تلك القمصان البالية ، وليس من الذوق ان يقدم للزوجة وبناها تلك الوجبة الرخيصة المكونة من لحم الخيول المسنة الهزيلة التي نحررت بعد اغنائها من جر العجالات الثقيلة . فماذا يفعل ؟

هناك يخف ابوه لتجذته ، فيشترى له حصة في « بورصة المضاربات المالية » !

وهكذا يجد جول فرين نفسه بين عشية وضحاها واقفا بين سيطرة البورصة لجول فرين ذلك البورجوازي المازح اصبح من رجال الاعمال . . ولا بأس من ان يكون « ربع رجل » في هذا المجال ! هذا البورجوازي الصغير له الآن زوجة وبنتان البتني وولد في الطريق . افلا يدل ذلك على ان حلم « بحار كوراليا الصغير » بدأ يتحقق بالتدريج ؟

والواقع ان ذلك الذي استطاع ان يكتب تلك القصة الرائعة « من الارض الى القمر » بدأ حينئذ يكشف في نفسه شخصية عجيبة : فهو يعيش الان حياة مزدوجة .

بين ضغط الحاجة ودافع الانطلاق

جول فرين . . . انه ذلك الشخص الساخر المازح ، المولع بالفلاحة بالانلاط ، الذي يضع فوق رأسه تيمه عالية ويذهب الى بورصة الاوراق المالية ليبيع ويشتري . . . « ترومتر » السوق ، ان مسعودا او هيوما . وهو نفسه ذلك الشخص الذي يستيقظ في الخامسة صباحا ويرتدي ثياب الشيطان ، ثم يصعد الى غرفة صغيرة في اعلى السلم فيجس نفسه فيها حتى العاشرة . فماذا يفعل هناك ؟ هل يكتب شيئا ؟

بالناحية كان يكتب . ولكنه كان يكتب اشياء قلما يعني بها غيره . فقد مضى بدون ملاحظات علمية كان يقرأها واحديث كان يسمعا واخذ يكسها في درج سري بكتبته حتى زخر بها . فماذا كانت تتضمنه تلك الكتابات ؟ كانت تدور كلها حول امكانية الطيران في الجو ، وهو موضوع استولى على تفكير ، حينئذ . ومع ذلك فانه لم ينس البحر ، صديقه القديم . فقد كتب في عام ١٨٥٥ :

ان الفرد هنبار ، وهو وكيل شركة بحرية في سان نازير ، قد تكرم علي برحلة مجانية الى اسكوتلندا

وهكذا استطاع جول فرين ان يتعرف على البحر لأول مرة . وقد عني حينئذ باخراج صور كانت مادة ناعمة لتلوين مكتبه وتزيينها .

في بالون » .

ويتصفح الناشر القصة في لغة وكلها قرا سطرًا
بدا عليه مزيد من الاهتمام . و أخيرا يرفع رأسه وهو
لا يستطيع اخفاء اعبائه ، فقد وجد اخيرا مؤلفه ، ذلك
المؤلف الذي يجري وراءه كل ناشر !

ويحذر هيتزل غورا عقدا مع « مؤلفه » . انه يطلب
منه كتابين كل عام لقاء عشرة الاف فرنك ذهباً عن الكتاب
الواحد ، ولدة مشرين عاماً « من تاريخه » ، وبجانب
ذلك مساهمة دائمة في تحرير « صحيفة التربية ونشاط
الشبيبة » التي كانت الدار في سبيل اصدارها . وهو
شيء له اجره الخاص ، طبعاً .

ويجري جول غيرن الى البورصة ، ويتجه الى
« سلة المزادات » التي يلفت حولها السامسة . فنادا
ما اجتمع زملاؤه حوله تام فيهم خطيبا فقال :

« اي اطفالى الاعزاء ! اننى موشك على مفارقتكم .
فسأكتب قصة في شكل جديد ، وهو شيء اراه حسناً
بالنسبة لى . فإذا تفحص فان هذا يكون بمثابة عرق من
بنجم ذهب . على كل ساواصل الكتابة ، وسأكتب في
غير تراج ، بينما تقومون انتم بشراء الاسهم ليلة هبوط
سعرها لتبيعوها ساعة ارتفاع ثمنها ! اننى اترك
البورصة ، فغالب مسؤولكم يا اطفالى الاعزاء ! »

بعد اسابيع قليلة كان المار بمكتبة هيتزل يشاهد
واجابها الإيجابية وقد حفلت بنسخ من قصة « خمسة
اطفال في بالون » . وكان في ذلك نجاح مذهل ، فقد
سارع الاباء الى اخذ طلائع النسخ لاهدائها الى اطفالهم ،
لا في فرنسا وحدها بل في العالم كله ، اذ سرعان ما
ظهرت طبعات من القصة . بمختلف اللغات .

ثم ظهر كتابه الثاني . وقد جاء بهذا العنوان
« رحلة الى قلب الأرض » . وتوحي النظرة الاولى على
هذه النبوءة قد ذهبت بعيدا في الخيال . فهل كان يشير
رمزيا الى اقتراب الزمن الذي امكن الوصول فيه الى
ما انطوى عليه باطن الارض من « كنوز » ؟

والواقع ان ما وصل اليه جول غيرن من نجاح
على اساس صدق افكاره كان عظيماً . فقد تحولت
الاسطورة في بوتقة تفكيره الى واقع حي استمر حتى
يومنا هذا ، وهو ما لم يصل اليه غيره من كتاب القصة .
ويرى كثيرون انه لم يرق قط برحلات ، بل كتب
كل قصصه بها فيها من نبوءات علمية في المقصورة
الصغيرة التي كان يعتكف فيها في اعلى بيته في اميان .
ولكننى ارى الحقيقة اجملى في ذلك كثيرا . فقبل ان يجعل
جول غيرن من نفسه « ناسك اميان » ويعتزل مجتمعه
بصورة كادت ان تكون تامة تمام في الواقع برحلات

غير ان ما كتبه لم يكن كافيا في نظره . فقد كان
ينظر اليه على انه شيء لا يزيد عن العيب .. شيء كان
يقضي فيه وقته كلها كان لديه فراغ . فآخذ يتطلع الى
شيء اكثر جدية ، وراى ان يكون هذا الشيء في مجال
الصحافة العلمية . وفي ذلك المجال وقع على ريميل يدعى
نادار ، وقد جمعت رغبة مشتركة بين الرجلين ، فقد كان
كل منهما مهتما بطيران البالونات . وهكذا ، بينما اخذ
نادار يضع رسماً لبالون عكف جول غيرن على كتابته
« قصة بالون » ، ومضى يجبر في ذلك من الاوراق ما
لا يقع تحت حصر .

وصاحت زوجته انورين في عجب : « يا لها من
كبيه هائلة ! فإذا نعمل بكل هذا الورق ؟ لا شك في انه
سيصبح طعاما للموتد ! » . وكان ذلك في مايو ١٨٦٢ .

واخيراً يحمل جول غيرن « اصوله » ويبشئ لعرشها
على ناشر بعد آخر . غير انهم جميعا لا يقبلون نشر
مثل هذه القصص الغريبة المفككة ، فهي تدور حول اشياء
خيالية لا يقبلها العقل . بل انها تدور كلها حول موضوع
واحد ، وهو الوصول الى القارة الافريقية في بالون .
فهل يمكن ان يحدث ذلك ؟

الحلم بتحقيق بصورة مذهلة

في صباح يوم من خريف عام ١٨٦٢ يصمم جول
غيرن على القيام بمحاولة اخرى ، فيجلب « نبوءة »
ويذهب الى ناشر كبير يدعى هيتزل يتسارع جكوب .
وكانت مكتبة هيتزل موئل الشبابة بسبب شهرة
مطبوعاتها . وقال له الرجل في ايجاز :
« عد بعد خمسة عشر يوما » .

ويعود جول غيرن بعد اسبوعين ، فيستقبله
الرجل بهذه الكلمات التي لم تكن جديدة عليه .

« مع اسفي الشديد ، ايها السيد ، وبالرغم مما
في موضوعات من افكار جيدة ، فإنتى ... »

ولم يتركه جول المسكين يكمل ، فقد كان يعرف
بقية الحديث ، فاختطف الاموال وحيا مودعا ثم هم
بالانصراف . غير ان الرجل استوقفه قائلاً :

« تهل لحظة ايها السيد فالواقع اننى رايت كثيرا
من الادلة على انك تستطيع ان تكون قصاصا بارعا .
فاذا كنت تعمل برأى فاعرق كل هذه القصص الصغيرة
المفككة وضع بدلا منها قصة واحدة متماسكة الموضوع .
فاذا فعلت فاحضرها الى في اقرب وقت يمكن » .

وترى خمسة عشر يوما اخرى ، ثم يدخل جول
الى المكتبة حاملا القصة الجديدة التي ودها في
موضوعاته السابقة ، وقد كتبها بعنوان « خمسة اسابيع

وثمة حقيقة أخرى . فقد فكر بعض العلماء الأمريكيين أخيراً في استعمال المتفجرات لنسف الثلوج التي تراكمت حول القطب الجنوبي بكثرة بات يخشى منها من تحول محور الأرض . فمن يكون صاحب هذه الفكرة ؟ انه جول فيرن نفسه ، فقد جاءت في قصته « اتجاهات فوق الطبقة السفلى » .

ثم ليس هو نفسه أول من أخرج في هذا العالم فكرة الآلات الموجهة تلقائياً . . تلك الطائرات الصغيرة التي — كما صورها في قصة « المغامرة العجيبة لبعثة بارسك » — تحرس مصمنا ، وتطلق النار على كل من اقتحم حقلها مخفطاً ، فإذا نفدت عبوتها عملت تلقائياً على ملء اشراطها من جديد ؟

على ضوء هذه الحقائق المذهلة التي كانت تتدفق خيالا من عقل ذلك الرجل العجيب يستطيع المرء ان يتصور ان جول فيرن قد رافق أبطاله الى اسيا واقرتيا واوقيانوسيا وأمريكا ، وانه حينما كان يذهب الى مكان كان يجرد الحريب والاهتمام ، بعد ان سبقته شهرته الى شتى أرجاء العالم .

يدخل الأسطورة حيا

وأخيرا دخل جون فيرن الأسطورة . ولكنه دخلها وهو حي . ففي يوم الثلاثاء ٢٨ من مارس ١٩٠٥ ، بينما كان نمشة في طريقه الى مئواه بمدينة ايمان ظهر رجل انجليزي يرتدي ملابس السفر . . وكان هذا الرجل باوي (الذي) يقدر ما يسمح المزاج الانجليزي للزنازة ان تنفس بحالا للانفعال . ثم اخذ يصاح افراد اسرة جول فيرن وهو يردد :

«عزاء لكم ، وصبرا على هذه الفاجعة الكبيرة ! »
«ودار الهمس بين الحاضرين :

« انه فيليبس فوج بلى هو نفسه فيليبس فوج » .

بلى ، لقد استطاع جول فيرن بطريقة تثير الإعجاب ان يحقق احلامه وان يعطي الحياة لشخصياته الخيالية . فلم يكن هناك في ذلك الصباح من ساوره شك في ان بطل قصة « باسبارتو » قد جاء من لندن خضوما ليحتني امام جثة الرجل الذي عرف كيف يكشف للعالم من سر ذلك الزهان العجيب في قصة « بطل النادي » ، ذلك الذي استطاع ان يطوف حول العالم في ثمانين يوما .

كثيرة . فقد سافر الى امريكا على السفينة « جريت ايسترن » ، كما سافر الى شواطئ البحر الابيض المتوسط على يخته الخاص « سان ميشيل الثالث » ، وكان يخطا بخاريا صغيرا ، وقد قضى جول عدة اسابيع في تلك الرحلة .

بل اننا نستطيع ان نقول انه كتب قصته « عشرون ألف غرسخ تحت البحار » فوق يخته الأول « سان ميشيل الأول » . ومما يثبت ذلك انه كتب حينئذ الى والده :

« اكتب اليك من ديبب ، حيث دفعت بنا الرياح . على اني اكتب هنا بطريقة افضل مما لو كنت على اليابسة . سأنهي قريبا من المجلد الاول من « عشرين ألف غرسخ تحت المياه » . وكل ما ارجوه ان يري الناس يوما شيئا من الحقائق في هذه الاشياء التي تبدو خيالية! »

وهنا لا يسعنا الا ان نقول ان جول فيرن كان على حق حينما رأى ان يتجه في كتابة القصة العلمية القصيرة . ولا عجب ، فما هو « هورست » المكتشف المعروف يقول :

« كنا جميعا ، ولا نزال ، منجذبين الى جول فيرن »
ثم جان شاركر :

« لقد قرأت في شيف قصة « الرحلات العجيبة » ، قرأتها مرة بعد أخرى ، ثم قرأت مكتبتي « لم لا » قرأت محتوياتها بأكملها . وقد رايت نسخها منشورة في جبال البحرية ، لا في ايدي كبار الضباط وخدمهم بل ابشبا في ايدي البحارة ، الذين كثيرا ما رجعوا اليها في ساعات الخطر » .

وتقول « مدام اللوت دي لا فيني » ان بيلان (١) اكد لها ان ما شاهده من جول فيرن من حماس شديد كان له اثر كبير في نفسه ، فنفشط في دراساته عن التلفزيون ، وقد استفاد منه اشياء ساعدته في التغلب على كثير من الصعوبات .

حقائق جاءت من خيال جول فيرن

لقد أصبحت القواصات الذرية في زمننا تهر من تحت ثلوج القطب . فهل يعني ذلك شيئا غير ما تصوره جول فيرن من سفن تسبح تحت ثلوج القطب الشمالي؟

(١) ادوار بيلان « Edward Belin » مهندس وطبيعي فرنسي

ولد في فيسول (١٨٧٦ - ١٩٦٢) . مخترع عمليات الفوتوغرافيا

والثلي - اونوغرافيا

بصدرك الحائي تخفيه ..
وقطعة من شفق المغيب
في الخد « تومي لي » ...

●●
لا تذكريني ...
قدمي اليوم يضعفني
بل اتسكني
شهرين لا أكثر ..
ثم عودي .. فاذكريني
اني تعودت البكاء بلا دموع
اناته في القلب .. في الاوتار
خلف الجفن يرتد في خضوع

●●
يا ايها النجم البعيد
ارتب بعينك كيف يجري النيل في مثل الغدير
والنسمة الكلى تميم
نموق الشواطيء والنجوم
في قلبها شوقي ..
وفي اطرافها قتيدي ..
ونزف من دمي ..

●●
صوتك بالامس يضيء غررتي
اصدااء صوتك تضئ
ووجدتي في قلبها سكن
بلا اشراع تشبي ...
بلا سفين ..

●●
تستيقظين على شروق شمك
تستيقظين الان
وتبعثرين الكحل في العين
كالامس .. والنسيان
يا وحدثني في قلبها سكن
بلا اشراع تشبي ..
بلا سفين

●●
ازف اللقاء ..
واحمر خد الورد البيضاء
اتسعت عيون الشوق
وانتشر الشروق
وقتحت صدرك للقاء
وقتحت قلبي للفريق
لم يبق شيء للبكاء
الدمع دمع سمعادي
مرحى .. واحلا بالحبيب .



عيون الشوق

بماذا يقول الشوق في قلبي

بماذا يقول الشوق
هل كنت مؤثني
ام كنت عودي واوتاري
وانا اقربها الى قلبي
غريب الدار ..

●●
اهدك حبي على مرأى من العين
اهدك قلبي ..
بماذا يقول الغيم للوديان
بماذا يقول الغيم
هل انت في البعد
مازلت على العهد
وانا وحيد في القيود انادي

●●
اهدك حبي على مرأى من العين
اهدك شوقي
بماذا تقول سنابل السهل
بماذا تقول سنابلي

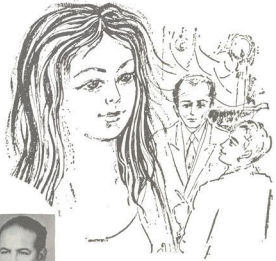
●●
اهدك مئديلي
تلوحين به قبل الرحيل
اهدك مئديلي
وخصلة من شمري ...



شعر
يعتوب
سشحا

قصة مصرية

بقلم / عبدالعالي جلال



ضحى هذا النهار ؟ فلانفال ولاستيع بلحظتي هذه .
نكم في العمر لحظتات كهذه ؟
واذرت محرك سيارتي . مخزن الوقود مملوء ،
وصوت المحرك هادي رتيب ، وكل شيء نظيف معد ،
وكركبت بمقلنا الى النادي . نسيت الخريف تداعب
وجهي وصدري فانفوس في عرق . الطريق جميل
بمحاذاة ماء النيل الرقاق واشجار الكافور العالية .
يا لروعه هذا الجبال . توليفة مصرية تنفرد بها
مدينتي . وفي التساوي انتهت الى بعض الإصداء
الجالسين كي احبيهم . وكان يجلس مع اصدقائي هؤلاء ،
سيدة في الثلاثينات ورجل الى جوارها في الخمسينات .
قدمني صديق اليها وقدمها الي فتصافحنا مصافحة
غرباء وبلا اكترات بني .
اجلس معنا . فجلست .
وتعال يا عم بدر ، الجرسون ، نجاه واتحني
وطلبت قهوة .

واستأنف الرجل الجديد سرد شيء كان قد بدأ
يحكاه قبل مجئني . واصفيت تأليا اذ لم ازل مأخوذا
بجمال النهار والاشياء ، وبلمس بشرية ذقتي للناعمة .
وجاء عم بدر بالقهوة وصبها لي وسرعان ما نفذت
رائحة النبي الطيبة الى انفي . واغراني بها اكثر
سطلها وهو اشبه ما يكون بطبقة « الكريم » . ومددت

صباح ابيض ، وسماه بيضاء ، وسحاب خفيف
كانه اجران قطن اطارته عاليا رياح الخريف .
وطائرة ركاب تلعب بعيدة كثيرا قرب مسبح
في السماء ، يتناهي ازيزها الى اذني . . . فبدت تلبس ،
انها توقف في ذكرى بعيدة لا تزال تعالوني فاقطعت .
ذكرى فتاة احببتها ذات يوم . ترى الا تزال تعيش
هناك في لندن ؟ لا ادري . واختفت الطائرة واختفى
معها الازيز . وارندت ملابس البيضاء الا من صدار
رتيق في لون مياه البحر حينما تنظر اليه من بعيد . كل
شيء ابيض في مطلع هذا النهار يستقبلي بابتسامة
ودودة .

هبطت سلم فيلتي الصغيرة واستقبليني امام بابها
الحديدي شجرة السيبان خضراء وارفة على غير
عادتها . رايتها سابقة فارحة على غير عادتي . وسرت
وبين اصابع يدي اليمنى سلسلة مفاتيحي ، مفتاح
باب فيلتي ، مفتاح سيارتي ، مفتاح دولابي الارو الذي
به ملابس وذكريات عشر سنين . وصلت الحظيرة
الكبيرة ، حظيرة السيارات والدجاج ، سيارات الزبائن ،
وقرأح زوجة السائس تروح وتفسد وتفرع امام
السيارات الداخلة او الخارجة ثم لا تلبث ان تهدأ وتمتد
تجوالها في الحظيرة من جديد . بالمعنى اليوم !
وبالحواشي ! ترصد كل شيء وتمسك بكل شيء . هل هو
نوع من الرضى او نوع من السعادة اراد ان يختصني به

يسدي ورفعت الفئجان الى شفتي ورشفت وفي نفس اللحظة سدنت مبني الى الرجل وهو يحكي :
« وفي سنة ٣٩ ، وكنت ايامها في كلية الطب لعينا مع منتخب برمنجهام ، وكانت النتيجة ثلاثة اهداف لنا مقابل صفر ، كان يلعب معنا في الفريق حلمي الروبي ومحود جزارين وسيد اباطله الله يرحمهم ومختار التنتس .. »

الرجل لاعب كرة قدم .

الدينيا انلتيت بيوها . ونزل لنا في الملعب باشا غني جدا كان اسمه .. اسمه .. ماذا ياربي .. نسيت . المهم . اخرج لكل واحد منا ورقة بمشرة جنيهات وقال « روحو هيمو ، وبالليل كلكم معزومين عندي في السرايه ع المشا » كان هذا الرجل يسكن حي العلية القديمة . وذهبنا الى العشاء . ديوك رومي ايه . وفراخ ايه . وحمام ، ومولد يالابي . وطبعسا بن باب الذوق دعا معنا فريق برمنجهام ومدرهم . من المدهش اخذني هذا الحرب جاتيبا وقال لي : ايه رايك تجي معنا لنندن وننضم لفريقنا ... ؟

— ازاي ؟ موش ممكن .

— احنا حاتخذك في الفريق وحانعمل لك كل اللي انت علوزه .

— اتا لسه بادرسي في كلية الطب

— ولا يهيك ، نحول لك اوراك على كلية الطب في لندن . وحانفدع لك كل شهر خمسين جنيه غير السكن .

كان العرض مغريسا . فقلت له : اديني فرصة لما اتخذه راي والذي وراي المدرب والثاني كان

واعطاني موعدا نلتقي فيه بفندق شير القديم ايام ان كان في شارع ابراهيم باشا .

عرضت الفكرة على والذي رحمة الله عليه فوافق . لكن الحرب راسه والف سيف لا يمكن ، كان انجليزيا

ايضا ، اسمه المستر هوجيت . ويومها هددني بالفصل من الكلية ومن النادي اذا اتا قبلت العرض . لكنني في الحقيقة صميت على السفر وشجمني اصداقائي كلهم على ذلك . وفي فندق شيرد قابلت الرجل واخبرته بوافقتي بشرط ان اتم دراستي في لندن . اخني جهالات هذه لم

يكن قد مضى على ولادتها اكثر من بضعة شهور ... »

واشار الى اخته . فحولت نظري الى جهالات هذه . جهالات .. جهالات .. اسم محبوبتي ! وركزت . وانتبه عقلي . وطالطت راسي افكر . ودهميتي الذكريات .

ورفعت راسي اتأمل الوجه من جديد . فحولت نظرها الي . وجهي ليس غريبا عليها . وركزت . وانتبه عقلا وادارت راسها تفكر . ودهميتها الذكريات . وسددت نظراتها الي في ابتسامة . والنقت نظراتنا . ونذكرنا

رغم كل شيء ، رغم ما احداثته فينا هوة سنوات عشر

تبدأ بمسام ١٩٥٧ حينما كنا طالبين ، هي في كلية الاداب وانا في كلية الحقوق . احب كل منا الآخر ، وكنا نهرب من زملائنا ونلتقي عند ملاعب تنس الجامعة في الطرف الاخر . ولذا صباح ، وبلا مقدمات وعلى غير انتظار لما سيحدث جاءت لخبرتي بانها سوف تسافر الى لندن كي تكون الى جوار اخيها الطبيب الذي يعيش هناك هو وزوجته الانجليزية واولادها . واحسبت بالضياع لكنني تظاهرت بالشجاعة . ولم يكن امامي غير ذلك ، خاصة حينما حدثت لي مفاجأة اخرى ، وهي تريسي تذكرة الرحيل وجواز السفر جاهزين معسدين لليوم التالي . وقبل ان تستاذني في الانصراف الى بيتها رجوتها ان تكتب لي املا في اللقاء ذات يوم . ولم يطل بيننا الحديث لان كل شيء كان يتحطم في داخلنا ولم يرد احدنا ان يتكشف للاخر . وذهبت . وغابت عشرينات وها هي ايامي الان .

وانصرفت عن قصة اخيها غصبا . ولم يعد وقع كلماتها في اذني سوى اصداء تروح وتجي كصوت محطة ارسال بعيدة يذيع اغنية لا اسك بكلماتها

تبابا . واستاذنت زامعا انني اود الفرجة على لاعبي التنس . وقلت في نفسي لو كانت لا تزال تحتفظ بذكرى

للقاءنا عند ملاعب التنس في الجامعة ، وان شيئا في حياتنا لم يحدث ، فسنتاني . وذهبت وجلست امام اقرب

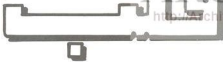
ملعب . واستقرتني ايام جبي لجمالات وصروف الليالي والايام . كانت جهالات في ايامنا تلك غصة العود جميلة

كاسمها . وكنت انا شابا جديدا متفتحا . لكن الان

التسعة الايام يخلط بشعرها الاسود الفاحم . وانا نصف اصلع . الا تزال تحبني ؟ الا تزال تذكر رسائلها

الي وقد انطلقت فجأة بعد عام من اقامتها في لندن ؟





لـروايف الـروس الكـبير يـوركـيـنا جـيبـين

وقف كوستروف عند النافذة ، يحدق في باحة المصح
المنسعة ، بل ربما في تلك الزاوية الصغيرة لجدار القسم
الجراحي الاصفر المتسلخ ، والبوابة الحديدية المخططة
بتموجات صدئة . ثمة شجرة كثيفة ما زالت عارية في
هذا الربيع المبكر ، تقطن هذا الجزء من العالم .. لكن
أي نوع من الاشجار هي .. لم يعرف . وخلف تلك
الشجرة ، ثمة باب ، بدا وكأنه نيا في الجدار ، وبجانبه
اضطلمعت (جرة) مقلوبة . وفوق كل هذا ، انتصبت
خيبة زرقاء كثيفة ناعية .

لكن قبل هذا وذاك الا تزال على عهدا ولم تتزوج .
من يدري ؟ اذا لم تات الان فاسأل اصدقائي عنها
فواحد منهم على الاقل يعرفها ويعرف اخاها جيدا .
ليتها لم تتزوج ولم تنجب . سوف انتقم في طلب يدها
مهما كانت الظروف . لكن هل تقبلي زوجا بهذه الصورة
المزورة لاصل قديم كان ؟ انني اشرف على الاربعين ؟
وفجأة احسست لسة خفيفة لاصابع تيس كنتي
والنفث ، والتقت عينانا بنفس النظرة الاولى التي مضت
عليها السنوات العشر . وابتسامة عذبة عذراء على
شفر حبي . وازدادت دقات قلبي فرحا وتغاولا . واخذت
يدها في راحتي واطبقتهما حنوا واحسست بايسامي
الضائعة تعود وكان لم يكن هناك فراق . قالت :

— جئت انتصرج معك على لعبة التنس .

— حقا ؟ عهدتك صريحة .

— لا

— لماذا جئت اذن ؟

— كي اقول اهلا بعد غياب طويل .

— الا تزالين تذكرين ؟

— وانت ؟

— كما تركتني في ذلك الصباح .

— وابتسمت وتهلل وجهها فازداد وجيب قلبي .

— ألم تتزوج ؟

— لا ازال كما انا منذ كنا في الجامعة . وانت ؟

— لا ازال كما انا منذ كنا في الجامعة .

— تعبت ، واريدك لي زوجة والزمن لا يرجم .

— هل كل شيء معد ؟

— نعم .

— الا تزال تحتفظ برسائلي ؟

— نعم .

— اريد ان اعيد قراءتها .

— اذن فهيا نأخذ اخاك ونذهب الى منزلي .

— هل معك سيارة ؟

— نعم .

— هيا .

— لكن لماذا قطعت رسائلك عني ؟

— هذه قصة سوف اتصها عليك فيها بعد .

وانطلقنا انا وهي واخوها الى منزلي حيث وضعت

في اصبعها دبلة منقوش عليها اسمي ووضعت في اصبعي

دبلة اخرى مكتوب عليها « جبال محمود » كنت قد

اعدتها منذ اول يوم في حبنا . وفي اليوم التالي كانت

ليلة زفافنا ونور ابيض يبلا ارجاء قاعة شهرزاد في

فندق الهيلتون .

عبد العاطي جلال

نصيحة رائعة ، نفذها كوستروف . لم يدع المشهد
ينفذ الى ليه ، لم يستجب لشيء عدا تلك القبة الزرقاء .
لكنه عبر العتبة قد يرى نفس السماء التي رآها من
النافذة .

نعم لقد حرر نفسه من اي عنصر دخيل على عقله .
حتى من العرفان بالجميل لأولئك الذين انقذوا حياته .
لماذا ينبغي عليه ان يكون شاكرا ؟ هل انقذ
الاطباء كوستروف ، فقط لانه كوستروف ؟ كلا .. انهم
قاموا بتجربة جهورية جريئة . وكان كوستروف فقط .
حقل تجارب حيا .. حقل تجارب محظوظ استثنائي .
بل حيوانا تجريبيا ممتازا .. لقد خرج منها حيا .. ويمكنه
ان يستمر حيا حتى يموت بفعل سبب اخر . لقد عاش ،
ليحقق الحدث الجلل للقرن .. اول انسان يعيش بقلب
شخص اخر ..

نعم .. لقد تحققت المعجزة .. ولم يبق ثمة ادنى
شك .. انها لم تتم نظرا لطيبته الخاصة بل لقد مكث
طويلا في هذا المصح من اجل العلم فحسب . ولكنه تهكن
ان يلحظ كان طبيبه غير واثق من توازنه السيكولوجي
ومن قدرته على الحياة بقلب شخص اخر .
واخيرا سألته بصراحة « بم تخاف ؟ » .

بدا وكان الطبيب كان يتوقع هذا السؤال لكنه لم
يتهاجمه للرد عليه . فاجابه بصوته الجهوري الثقيل ،
وسنة شك تنردد فيه لأول مرة « هل قرأت السيرة
الذاتية للرائع الدكتور بيتر غراين ؟ »
« كلا ، حتى ولا سمعت باسمه ! » .

« انها قصة رجل يتخلى عن عمله كطبيب ويتحول
الى مكتشف طبلي .. حدث هذا لما احضر رجل مجروح
الى مشفى بكونهاغن حيث كان يعمل هذا الطبيب ،
واستمر الفصال من اجل اعادته الى الحياة عدة اشهر
بعد ان كان مهشما حتى اصفر عظمة في جسمه ..
واخيرا نجح الاطباء .. ونهض على ساقيه مهزا ، لأول
مرة ، ليدخل عالم النور والشمس . ودعه سائر الاطباء
والمرضات ، والدموع تها ماقيهم .. لقد كان الانسان
الذي يموتوه . بدا هذا الاذى المولود الجديد بعبر
الشارع وفي منتصفه ، صرع فجأة بواسطة الدراجة
النارية الوحيدة في كونهاغن . وعندنا تحرر الطبيب
الشباب من مهنته ورحل الى غرينلانده » .

« هل تخشى ان افقد حياتي الجديدة ببلاهة كهذه؟
على اية حال ان حياتي ليست في خطر من حادث
سيارة . »

فسأله الطبيب بدهشة ولم لا ؟ .



مكسولم

تعريب/توفيق وخنوس
.....عن سبوتنيك

ظل كوستروف يتفرس في الباحة نصف ساعة لكنه
لم ينسجم مع المشهد .. الجدار الاصفر والبوابات وحتى
الشجرة الحزينة بقيت كلها غريبة . وربما السماء فقط ،
اشارت عاطفته .

« كان ينبغي اوامر الطبيب بلا وعي : دع كل شيء
خلفك ... لا تنقل شيئا معك عبر عتبة الباب .. لا
ذكريات لطبيبك ولا آلامك وشكوكك ومخاوفك الخاصة
.. كلها قد انتهت .. ليس ثمة داع لتركم ذهنك
ببوس لا نفع منه . »

« نظرية الاحتمال .. لن يورث نفس القلب في حادث طريق مشؤوم آخر » .

لم يكن كوستروف يدري شيئاً عن مورثه قلبه ، سوى انه قد صرع بواسطة سيارة ساحقة ونشوه كثيراً حتى تغذّر بيان هويته فيما لم يحل وثائق شخصية كبا لم يتقدم أحد للتعرف اليه . ربما كانت هذه قصة ملفقة لاختفاء هوية الماتح .. لكنها نوعاً ما تبدو حقيقية .

ثم قال الطبيب « لا تتيسك بكافة جوانب قصتي فليست حوادث المرور الخطر الوحيد » .

« ارى انك تمنى ان الخطر يكن في نفسي ، قد يكون هذا ثقل الفهم علي » .

« لديك ذاكرة جيدة .. ومن الرديء ان تكون غير مطلع » .

« انظن اني قرأت القليل ؟ » وضحك كوستروف .
« انني لا اتحدث عن كنوز الملك سليمان وما شابه ذلك . ربما انك قرأت الكثير من هذا الهراء . انني اعني الكتب المنطقية التي تؤدي الى تفهم للذات والحيث . حسناً .. لا تنهك بسير النفس ، وانس كل ما يتعلق بغضو صغير عادي يسمى القلب . لقد تعرضت لعملية لا تختلف جوهرها عن زرع كلية . ويوما ما سيكون العلم قادراً على تبديل كل عضو . لكلك تهين ، اول محاولة من هذا النوع وسوف تحيا بين اناس متحولين ولجوجين وغير لقيين ، فياك ان تدع نفسك ككف عن الانزاع . وتذكر ان القلب الذي يخلق بالنظام في متحرك ، القلب هو قلبك وله عليك حق . لا تأملات .. لا طبعاً دستوفيسكية . انك اليوم تبدأ حياة جديدة وعجيبة . ولم يسبق لك ان مارست الحياة بصحة جيدة . حاول ان تقيّد من حيائك الجديدة فانت اول انسان تتاح له اول فرصة ليبدأ حياته ثانية » .

ابداً .. لم يع كوستروف ما يرمى اليه طبيبه .. ربما كان خائفاً من اثر جسم صحيح على سيكولوجية تسببت بمرض مزمن .

وفكر كوستروف « ليست لدي الثقافة الوافية لأفهم ما يعنيه .. حتى انني لا اعرف باي نوع من اللغات علي ان افكر لادراك ما يقوله . اشعر انه ثمة شيء ما يخشاه .. لكنني لا استطيع ان اقول له ماذا » ..



لقد مرض كوستروف منذ باكراً طفولته .. والحقيقة انه لم يتمتع بصحة جيدة سوى في سنه الاولى ... وطبيعي انه لا يذكر تلك السنة . وكل ما يذكره اليوم عن طفولته كان .. حلماً رديئاً ، وجسماً محمواً ، وطاوله تحمل شتى اصناف العقاقير ، وميزان حرارة غامض تحت

ابطه ، ويدي طليبي باردة ومسامعا يدب على صدره وظلوه . ثم نزعّت لوزاته واصيب قلبه فيما بعد .

بدأ حياة مريبة حول مصحات الاطفال ، وقارب صبر عائلته على النفاذ .

نصف تعليم .. اسابيع واشهر من مرض حقيقي . طفولة بدون كرة قدم حتى بدون دراجة . مع مخاوف شتى .

لم يعرف الى اي مدى يشاركه الاطفال الآخرون مخاوفه هذه .. لم يتحدثوا ابداً عن امراضهم ، لكنه عرف انهم عاشوا في خوف .

اولع بالمطالعة الخفيفة فكان يخدر نفسه بقصص المغامرات . لقد كان طالباً فقيراً وطائشاً وكسلان . لم يعتقد ان الدراسة قد تنفعه ابداً ، كما انه لم يرد ان ينزعج بالكلية .. بل تلقى المبادئ الاولى للعبة الضامه وبدون توقع ، بدأت صحته تتحسن واخذت نوبات الضعف والعرق تتلاشى حتى استطاع ان يتجامل المسعد ويتسلق ثلاث مجموعات من درجات السلم بدون لهيات ، كما لم يعد يستيقظ بذعورا في منتصف الليل لأن قلبه كف عن الخفقان . ومن ثم تزوج وبدأ يستعد لامتحانات دخول الكلية .

لكنه سرعان ما اصيب بتكسة مفاجئة ومبمبة تبيّل ميلاده الثالث والعشرين ، واستطاع ان يقرأ الرأي الرهيب في عين الاطباء والممرضات . حتى انه الاّبل المعجزة ، يقابل سليم لشخص آخر . فبات ينتفسس هيبثا ويستمتع لخفقانه الثابت كتكتكة البنودل ، وثمة حس لذيق يدغدغه عند ظهر كتفيه لكان اجنحة تنبت فيه . حتى تبدي له انه يحتاج فقط لركضة قصيرة ، حتى يطير .

الاتحاض لربط الحذاء ، والنهوض من الفراش عند الصباح ، والتقاط شيء ما عن الارض .. كلها كانت تخلق له ظلاماً في العينين وارتطاباً في القلب .. امسا اليوم فقد باتت مصدر سرور وابتهاج .

ثم فكر كيف يعيش الناس ببساطة .. واخذ يتنبأ بالمفاجآت العجيبة التي تنتظره اثر انعتاقه من هذا المشفى . سوف يقفز الى عربة متحركة ويسعد السلم الى شقته ثم ينطلق الى السباحة في الحوض الدافئ في هذا الطقس البارد .. او ربما يتسلق الجبل . بل قد يشتري لنفسه مضربي « تنس » ذوي اوتار متوترة طننات .

قد يغادر الحديقة منتشراً في ريفها ، يلتقط النهار او ينتزه ويتصيد . سوف يحصل على كل شيء تقديمه الحياة . لكنه لن يبداً التدخين بل يكتفيه شرب الفودكا والخمر .

فاستوضحت امة بصوت مرتعد « ماذا تعنى ؟ » .
« اريد ان اسعد لكليه » .

« ولد جيد » وذرفت والدته دموع السعادة .
كانت دائما قلقة حول عدم رغبتى بانها دراسى ،
لكنها لم تلمنى ابدا حتى ولا بكلمة واحدة . انه لجويسل
ان تدع ام « ابنا المتزوج » بدرس بدل ان يشغل .
ثم حقق في مؤخرة راس امة . في جذيلة شعرها
المعقودة كتمكة متكئة على ياقة الفرو البالية لعطفيها
الرجالي القبيح .. وفكر ببرود .. نظرا لانها قضت
حياتها في ثوب العمل فانها لم تتعلم كيف ترتدي كبا
ينبغي .

وسألته « هل شغيت تهايا ؟ » .
فاجابها شارد الذهن « ينبغي ان اتول هكذا » .
وفجأة شعر بانزعاج .
كانت السيارة قد تركت منطقة المصح واندمعت
تشق طريقها عبر حركة المرور الكثيفة حتى خيل اليه
كان السائق غير مكثر .

وبدا له كان شوارع موسكو قد جمعت برشاقة
كافة السيارات والشاحنات والقاطرات والدراجات
فشعر بكل جوارحه ان ذلك قد لا ينتهي على خير .
وبدأت الام تتحدث عن شيء ما ، ربما عن بعض شؤونها
اليومية ، لكنني لم يسعها ان كان يعانى حسبا من
المخاط وشعورا فاجعة موشكة .

وبدأت الام تتحدث .. ومصدر عن اطارات السيارة
صوت حاد ، بينها اهتز هو بداخلها وطرح للاسقام
ثم للخلف وصاح صيحة خفيفة وفقد وعيه .. ثم انا
عاد الى رشده كانت السيارة تسير بهدوء ، واهم
وزوجه جالستين بقسمات جامدة . فقدم « ظننت انا قد
تهشما » . فبادرته امة بقلق « لم تكن عصيبا من قبل » .
واخيرا وصلوا البيت .. كان شقة من غرفتين ،
احتل الكيرة منها هو وزوجه بينما احتلت والدته
مصرانها . وبلا اثنى انفعلا .. اخذ ينقل نظره بين
الاثاث الفلندى الخفيف غطائه الاحمر ومقعد وسريرة
المزدوج العريض والمنخفض . فبدا وكأنه لا رابط يربطه
بهذا البيت .

« اى شيء يؤكل لديكم ؟ » . اننى اشعر بشهية
هائلة « قالها جامدا بشرة حازمة كي يبدد شعور
الجفاء والبرود فانبتت امة عقالة « آه .. ان الغداء
الذي اعدتاه .. » وفجأة انخرطت في بكاء الهم ،
وانهمر سيل من الدوع على وجنتيها .
« يا الامر ؟ » سال كوستروف متكلفا الاهتمام لكي

اعتقد كوستروف ان الطبيب قد يريده ان يراه ثانية
قبل ان يغادر المصح . لكنه ، دون اذن ارتباك ، هبط
درجات السلم العتيق الى حياته الجديدة ، الى معانقات
امة وزوجه ، الى دموعها وتلبساتها البائسة لوجهه
وسائر جسمه .

لم يدرك كوستروف ، لم تك هاتان المرأتان بمرارة
ولماذا تنشيان به ببأس .. اكان ذلك لانها تنشيان
فقدته ام لانها تشكان في سلامه ؟ .

لقد سئبها كثيرا ، وباتت دموعها الباردة مصدر
ازعاج على خديه ، وكذا فهما الكتيان ومظهرهما
النساب وغير الملائم . كانتا تعانقتان بحرارة فيها هو
يصدق عبر زجاج الابواب حيث احس بالحرية
والهواء والشمس واراد بحساس مندفع ان يخرج .

واخرا هذا نفسيهما اندلعا الى الشارع حيث
تنتظرهما سيارة اجرة بينهما اخرجت زوجة طلبة
التجميل . وهناك حدثت مشادة خفيفة ، حيث اراد
كوستروف الجلوس بجانب السائق لكن والدته اصرت
على ان يجلس في الخلف بجانب زوجته التي تشبنت
ببديه بحرارة وعنف وقد بان له ان هذا التعبير العاطفى
غير ضروري .

●●●

لم تتولد لديه رغبة باى تهايا جدي او عاطفى .
بل شعر بانسجام مع الشوارع والبساتين والسيارات
والاماكن والناس وحتى المتلجات وبائعي البالونات ،
والدراجات ، والاطفال ، وبائعي الاطعمة ، والكلاب
الزيرغون العاري واشجار الحور الباسق ، بل مع كل
نموذج حيوي او غير حيوي من العالم الخارجى . لكن
هذا الشعور لم يمتد الى الناس الملائمين له في السيارة .
بل شعر ان هاتين المرأتين المعجز والشابة قد فرضتا
عليه فيض خائنها بواسطة حق تلبس ما ، معروف فقط
لنفسيهما . وهكذا عاد من مسافة بعيدة لينزلق بمنتهى
البساطة في حياة ماضية .

« لم لا تسال عن شيء ، لكائك غريب ؟ بادرته
امة وهى تذف دموعا . فذلل كوستروف واجاب متفعلا
« وماذا تتوقعين ان اسال ؟ »

« حسنا .. عن اصدقائك ، عن المصنع .. لست
ادري كيف اسلك معك .. »

« ثم فكر .. من السهل ان تخيلي كيف تسلكين معى
لكن هل كان لدى اصدقاء حقا ؟ يبدو اننى لا اذكر . لقد
اعتدنا ان نستقبل ضيوفا .. كانوا يشربون ويكلمون
ويدخنون ويذلون غاية جهدهم ليشعرونى بالطمأنينة
وتجاسة وبالرغم من نفسه قال بصوت عال « لن اعود
الى المصنع »

يخفي استبداءه . فاجابته « لا شيء .. لا شيء .. انني امزح » .

ففكر لنفسه « هكذا .. ان امي تكذب . ولا عجب ان تكذب زوجتي ايضا » . ثم قرروا ان لا يدعوا احدا في تلك الليلة ليقضوا امسية عائدة .. لكنهما انتهت مبكرة . لعدم توفر مادة الحديث . والحقيقة ان الزوجة كانت صابئة بطبيعتها وكانت الام انسانة بسيطة لا تستطيع ان تواصل الحديث ، اما الابن فقد جلس يتسّم بمفوض بين الفينة والفينة .

واخيرا شعرت الام بتعب وذبول ، فنهدت من اعناقها ودمدمت لنفسها « لا شيء بهم ابدا .. طالما انك عدت » .

لكن هل عاد حقا ؟ لم يصدق كوستروف ذلك . ان يعود فعلا ، يعني ان يعود للمرض . لكنه ليس مريضا الان .

ثم قالت زوجته « ربما سأتام على الاريكة » . فبادرها ضاحكا « ولم ذلك ؟ هل مللتني كليا ؟ » وشعر بالارتباك وبدا له انه يتقوه بكلام غير لائق . لقد بل هو زوجته كثيرا بحيث لم يعد يشعر انها (كائن واحد) . لكنه اخذ يرقبها من أقصى زاوية عينه وهي تترك ازرار قميصها وتعري كفيها ، فاستحسن الخطوط الناعمة لظهرها وجديها . اما ، عندما بدأت تسحب تنورتها فقد اكتسحه هياج عنيف وقال لنفسه « يا لها من جميلة .. انني محظوظ » . ثم فاجأته بقولها لا تحقق ، خضف كوستروف عينيه بسرعة .. وعندها تحقق ان مثل هذا الحياء لم يكن جزءا من علاقتها الماضية .. لقد كانت تتعري دائما امامه بهدوء . ولا ريب ان هذا يعني انها تشعر بالقرية .

انزلق كوستروف تحت الدثار وقد عبه ذلك الشبق الحيواني المخزي . غالفت وجذبها اليه بقسوة .

لكنها بكت فيها بعد .. فتسأل مذهلة ترى ، لماذا تبكيان طيلة الوقت ؟ .

ونجاة أصبحت مهذرة .. الابن الذي لم تكنه قبل وخاصة في السرير . لقد أصبحت مكلية رائعة .. وهذه صفة كانت محظورة عليها .. لكنها سرقتها من شخص ما . ثم اخذت تتلصص وجهه برفوس انابلها المرتعشة وكانت تحاول ان تقتن نفسها بهو ، رجلها ، الرجل الوحيد لديها في العالم . لكنه لم يستطع ان يعطيها شيئا . لقد كان متعبا ومغرغا ، بل غير مكثرت . اذ لم تترك له تلك العاصفة التي جرفت ، القوة والجرأة .

لقد خين ، بينما استكثت على كتفه ، انها بالرغم

من دموعها وشكوكها ، فهي ليست تعسة في هذه اللحظة كان جسدها الوائق ، ورائحة جسدها ، حتى تنفسها الهادي .. امارات تقاعة ورضاء .

اضطجع باعين مفتوحة .. ولم يحاول ان ينام . وعبر النافذة استطاع ان يرى سماء المدينة ، ونجومها الباهتة بسبب الانوار الكهربائية ، حتى بدت نائية عن الارض اكثر من المعتاد ، كما بدا له ان حياته الحقيقية تكمن في مكان ما ، عبر النجم الأقصى .

وفي الصباح جلس يتفكر في وجه زوجته النائم ، كان عاديا بل وامايا يوحس . استطاع ان يوحس له بشيء ما . لكن هذا الوجه كان لا سبيل لادراكه ، تماما مثل ورقة غفلة .

وكانها خلال نومها ، احسّت بعيونه المسيرة ، فتذمرت بهدوء . وانصرف هو ، الى النافذة حيث شهد عبر السديم ، فجرا ، ورديا جديدا يبرز .



لم يستطع كوستروف ان يفهم نفسه او دوره في الحياة .. حتى ظن ان شخصا ما قد ارتكب غلطة اعادت الى المكان الخطا . لم يتحول ان يبك في البيت ، لان قلبه ، الاعجوبة الحديثة يتطلب مرانا — طوفا في الشوارع وتحوالا في الريف وفي حقول نيسان والغابات النائية — بل انه شعر في هذا البيت انه دجال .

لم يوجه اليه سؤال او طلب ، حول استعداده لادخول المستشفى . حتى لم يتذكر احد ، من تكاسله . بل عاملته — زوجته وامه — كغريب هش نفيس ، اوكل اليها امر صباهته . فعاش غريبا حقا ، ولم تستطع اسراب من السعادة الفيزيائية — من مسير وسباحة و ... — ان تعيده الى نفسه .

يبدو ان الناس يعيشون في عالم هائل ، عالم لا حد له يسمى الإنسانية . بل هذا رياء . ان حياتنا هي مسرحية .

ان الناس الذين يحيطون بكوستروف اليوم ، كانوا قبلا ، جزءا من حياته لعدة سنوات خلال طفولته ومراهقته ، وبات احيايا تبيل ثوبه او في حالة نصف البقطة ، يفكر معتقدا ان الناس المثاليين وذري الشأن لا بد لهم ان يبنوا ، بعد ان نسيهم ببساطة عبر جثام المرض والموت . لكنه غالبا ما كان يقطع نفسه ليصارعها انه اليوم وجهها لوجه مع رفاق حياته ، دون ان يدخل في حسابه ، والده الذي توفي منذ البعيد من مرض في القلب .

ونفس الطريقة بحث ، سائر الناس ، حتى كل الامم ، بحثت من اجل الارض الموعودة . انها سيبان

ان تكون ارضا من حليب وعسل او مخمرة كثيفة
مهجرة .. لا يهم سوى انها ارضك . وفي اي مكان اخر
فانت غريب .

اخذ يستعرض وجوه المارة ، والاشجار والسياج
والخيل ، والطر النوافذ وجرافات الثلج والمقاعد
والجرار في الشوارع حتى امدة النور وعصافير الدوري
واعشاش الغربان الخشنة . وفي طريقه الى المدرج
او حوض السباحة لم يسلك نفس الطريق مرتين قطعا .
بل كان في كل مرة ، يختار شارعا او زقاقا جديدا ،
ويعبر ساحة اخرى ، حتى لو كانت النتيجة دربا اطول .

ثم بدا يخزن بعض الاشياء ، فاعتقد انه في وجوده
الاول ، لم يحب زوجته ابدا . لكن هل احب امه ؟ لم
يعرف . خيل له ان شخصا يمرض مثله قاصر عن الحب
الحقيقي ، كان خوفه على حياته مضطربا . لكن الخوف
وتحسب الموت قد لا يكتان الحب لدى الاخرين .. لكن
كوسترفوف ليس منهم حتما .

كان ثمة صندوق عادي مغطى بشبكة سلكية دقيقة
صدئة .. ذلك هو برج حمام قديم في ساحة صفيرة
قرب مباني كسينفا غودونوف . لم ينس له في السابق
ان يدرك معنى برج الحمام . وبات اليوم قاتسا ان
الاحساس بالسعادة انها ينبع من الادراك غير الواعي .

ربما انه نظر الى بيت الحمام هذا ، خطأ .
فالسر ليس كامئا فيه بل في مباني كسينفا غودونوف .
وربما انه اثرت مشاعره ، بتسوره الحزين لابنة بوريس
غودونوف العنسة . البريلة امام الله والانسان . لكنها
اديفت للشك بملقاتها جبرية .

حقد بالحبايات لساعات ، راقب طيراتها ..
اتلعاها ورسوها ومشاجراتها على فئات الطعام .
وذات يوم كان يعبر الرواق الطويل المؤدي من
المدرج الى غرف (الدوش) وبرنس تركي مرمي على
كتفيه ، وبوغت فجأة باربع فتيات يحملن حقائب .
فانزلق نظره ببلاهة على وجوههن المجهولة ثم استراح
هنيهة على وجه مستدير منمش ذي عيني رماديتين .
لقد كانت ساقبته اكثرهن جاذبية على الاطلاق .

مرت الفتيات بجلية وضحك واصوات متعالية ، بل
وشذا محبوب شهى . ثم احس برغبة لان يرى ثانية
ذات العينين العميقتين الوديعتين ، لكن الباب الخارجي
اغلق خلفهن بعنف .

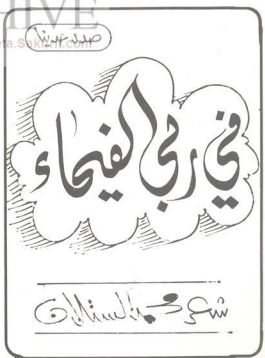
تتألق قليلة رمت .. تذكر وهو تحت الدش الفتاة
ذات العينين الرماديتين وتاوله بالهم . وغمره شعور
بالضياع رافقه فقاقت وهمية صغيرة من السعادة
في قلبه . ترى ماذا فعلت له هذه الفتاة العادية ؟ اي
اربعيات بسيطة او معقدة قيدهما في الماضي ؟

ثم فتح صفيور الماء البارد ، مستاء من نفسه ،
شعرا بالملل كانه يكس تلجي على قمة راسه . فانتشر
الخدس من رقبة الى كتفه وظهره حتى ساقه ، لكن
حزنه لم يتأثر .

كسب الان بحثه الفائه عزما ، اذ بات عليه ان يجد
الفتاة الرمادية العينين فقد تساعده في حل مشكلته . لكن
المنور عليها غير مأمول . الاف الاشخاص يدخلون
ويغادرون المدرج الشتائي وعشرات الفرق الرياضية
من شتى الانساب كانوا يلعبون . لكنه لم يكن يعرف
ان كانت هاوية رياضية او طيبة او ممرضة او مدلكة ،
فقد كانت عيناهما العميقتان الرماديتان ، المعلم البارز
الوحيد .. فكان اذا رواه لاحدهم باحسا عنها ، هن كتفيه
ساخرا .

واخيرا بدا يكث طوليا في بيته بطوق امه وزوجته
بلطف ويذكر نفسه كم احبناه وكم محتناه من الصلم
والصفح والعناية . واي رد شحيح يقابلها به .

بدا يحيا حياتهما الخاصة . يسأل امه عن شؤون
المصنع ويطلب لها باقات من الميوزا ، والزعران
ويساعدها في عمل البيت ثم بدا يستعد للامتحانات .





حالة مفتوحة المؤتمر الأدباء

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نشرت جريدة « الفجر » الكويتية الصادرة بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٥٨ الكلمة التالية للشهيد غسان كنفاني ، والتي كتبها في مرحلة مبكرة من حياته يخاطب فيها مؤتمر الأدباء المنعقد في الكويت :

لو يسر لي قلبي ، ومظهري ، ومركزي ان اكون احدكم ، لو قف اذن على الميزان المقدس وممست في المذابح ما اريد ، ولكانت قوبلت كلمتي - ايضاً - بتصفيتكم ، ثم باعتناء الصحف العربية ، ولساعدتي على

لكنه سرعان ما اصابته رعشة عنيفة حينما استمع خلسة الى محادثة هانفية بين والدته واحدى صديقاتها القدامى تقول « كانه ليس ابني .. انه يعرف اداب السلوك لكنه ضمنيًا ، بارد كالثلج . كلا .. ليس هناك ما يدعو للذمير ، فهو اليوم الطف منه في السابق . لكننه خلف ذلك ولا بد حقاقة . انني لا افهمه . »

لم يتحمل ان يستمع للمزيد . فقد سحق بشدة لا بالكليات التي وصف بها بل بالثيرة الفاترة لوالدته . كانت تتكلم عنه وكأنه غريب ما . الامر الذي يثير اكثر مما يحزن . لكننه لم يفتحها بالامر ولم يبدل سلوكه ، الا ان شعوره بالثرد اصبح اكثر رسوخا .



كان كوستروف عائدا بالقطار من المكتبة العامة . وعند محطة ساحة سفرد لوف لمح سيدة عجوزا تعتبر تبعة بمستديرة من الفرو وتردي معطلا ذا ياقة من نفس الفرو تطل من المقصورة المجاورة . وشعر ارتبط بتجمع بنعومة في كعكة تضطلع على ياقة الحلل الابرائي الرثة . فنذكر يوم عودته من المسح . حيث جلس كعكة رمادية شبيهة فوق ياقة من الفرو .

وقف قرب الباب واخذ يتصفح وجوه الناس الداخلين والخارجين من القطار . لكن السيدة العجوز استأثرت بنظره للمرة الثانية .. ذلك الوجه الكئيب المتعب الموسوم بسنوات طوال من الاحزان والضياع . انتزع كوستروف من هدائه ودومه بعيدا كروية . وهناك كانت سقطة له مرعبة ، في لجة لا ترار لها ، في ظلام وجوده السابق حيث روى نفسه بين الجوع المتزاحمة صارخا « يااا .. »

سمعت المرأة هذه الصرخة الطفولية الغريبة المنبثقة من صوت ذكر اجش وكان صوتا غير عادي وغير موجه اليها لكنها مع ذلك التفتت . فترأت رجلا شابا ذا وجه مخبول ومعروق يناضل ليشق دربه عبر الحشود ، المتيقنة انها لم تضال به لكنه بنفس عبر ابنها الذي قضى . « ما الامر هل انت ثمل ؟ » صرخت باسمئزاز .

كان كوستروف مملوقا باحكام بين هذا الحشد من الناس . فاستدعى احدهم الشرطة ، لكن كوستروف لم يلحظ شيئا . كل ما جال في ذهنه هو ان هذه المرأة قد تخفني خلال لحظة فصرخ ببأس « اين تذهبين ؟ »

توقفت المرأة وكان احدهم ضربها بقبضة يده على جسمها . لم تدرك ما حدث ، ولم تحاول ان تدرك . كبا لم تعرف ما ينتظرها .. خلاص ام هلاك . بل كل ما ميزته كان اليا في قلب ابنها .. فاندفعت نحو الصراخ .

ملء صفحة او اكثر من كتاب ادفعه للمطبعة واثبت فيه كلمة الفتيها هنا ، ومقالا كتبه هناك ، لو كنت احذكم لكتفتكم كذلك ، ولكنني ، لاسف ، لست احسد الادباء العرب الذين يدعون مؤتمر عام ، وانما انا قارى متواضع ، مجرد قارى متواضع ، يزور المكتبات ، فيطلع عبر لوحاتها الزجاجية المصقولة ، ويختار كتباً يشتري اقلها ، لانه يستطيع ويترك اكثرها لانه لا يستطيع من هذه الرواية - كوني احد القراء الذين ما زالوا بحاجة لمطالعة اكثر - اريد ان اهتمس مؤتمرهم بكلمة صغيرة ارجو ان تميروها من اهتمامكم قدر اقل قليلا من القدر الذي تولونه لكلمة تسمعونها واتمنى مقادعكم من زميل اعلى المنبر يدفعه الصفيق ، وتسوقه اقسامات الشجع . انا ارى ، ومعى الاف قراء العاديين ، ان كيبكم القيمة التي تراها في السوق بين الحين والآخر ان تكون ذات نفع كبير ان هي بقيت محافظة على سعرها المرتفع .. وفي عدة مرات حدث ان سأل احد القراء عن كتاب من كتبكم ، فلما قبل له الثمن عرف فقا باسامة طموحة - اكتفى بمطالعة الفرس على عجل ، وترك الكتاب من ثم على الرف . سوف يقول احد الناس الان : « ولكن هذا ذنب دور النشر ، فهي تأخذ ٤٠ ٪ من ثمن كل نسخة بحيث لا يبقى للمؤلف شيئاً اذا حاسب المطبعة » .

هذا صحيح ، ولكنه لا يحل المشكلة على الاطلاق ولقد حدثت في الادونة الاخيرة امور كثيرة تستلفت النظر ، فمة ، في بيروت ، دور نشر تطبع غلظاً برافاً فحسب ، وتعلن بوسائل جهنمية حول انتاجها ، ثم تفرقه على جمهور الناس الذين يتناولون ما تحت

اتوفهم ولا ينظرون لغير غلاف يراق . وهكذا خسرتا - او بالاحرى خسرت اتم - قسماً من الجمهور .

ثم انشئت مؤسسة فرانكلين في القاهرة وجدت اموالها التجنيد ادياء العرب وكابهم في مشاريعها ، واضطوت ، في اغراء المال ، كافة المثل التي قال الادباء - بعض الادباء - انهم حملوا القلم للدفاع عنها .. وصرتا نرى سطواً لا تنتهي من الاسماء فوق اغلفة رائمة .. كلهم يأخذون ثمن كلماتهم اكثر مما تستحق كلماتهم .. ثم يطرح الكتاب في السوق ، واذا به ارخص الكتب واجودها ورقاً ، واروعها غلظاً ، واتقها سماً في الدسم !!

هل قلنا ان مؤسسة فرانكلين لم تقدم شيئاً للارب ؟

كلا ، بل ترجمت شيئاً له قيمة بالقلم كماله تؤجج كل شيء ، وهي تعد ان لا ترجم كل شيء ، ولذلك - ايها السادة المحترمون - نرى اننا لم نحصل بمؤسسة فرانكلين - لو رضىنا ، لما كفتنا ما نريد ! ولكن ماذا يمكن لقارىء مثلى ان يفعل عندما ينزل السوق ، فيرى ان « المنجد » ثمنه (٣٥ روية) ، وثمان جزئى « تكوين العقل الحديث » لجون هرمان راندل (٢٠ روية) فحسب ؟ بل كيف تريدونه ان يتصرف عندما يرى ان ثمن « الشوارع الخفية » للشاعر (قوي) (عشروياتي) ، وان ثمن « تجديد في الفلسفة » لجون ديوي : (دويتان ونصف) لقد انصرت هنا - ايها السادة الادباء - مؤسسة فرانكلين ! فماذا نعتنا ؟ لا شيء ! ايها السادة ..

اهم مما يمكن ان تقدموه للمثقفين العرب - بصفتكم طليعته الفكرية - هو

ان تزيدوا صلحكم بهم ، فلا يجد الواحد منهم غناء في التغيير على نفسه كي يقرأ لكم اتاجكم ، وكى يرتقي باحاسيسه ليحاربكم . والحقيقة ان المشكلة ليست مقعدة الى درجة يصعب معها ايجاد الحل .. وان كان ، ثمة ، امكنة يتحكم فيها () فيصرف بعكس اسمه بكتبكم ، وان كان - ثمة - دور نشر تقول « لا اريد لائتي لا اربع كثيراً » ان كان هنالك شيء من هذا القليل ، فها ، في الكويت يكمن الحل . وهنا - ايها السادة - يمكن لكم ان تاتقوا القضية التي استطعن ان اطرحها بصورة واضحة : انشاء دار نشر وطباعة وتوزيع عربية برأس مال كويتي وعربي ، تتولى امر الكتاب على قدر طاقتها .

فلعل ايها السادة ، ان هذا المشروع قد نجح ، وانه لم يربح كثيراً من المال - وهذا ليس ضرورياً بالنسبة للكويت - افلا يمكن لسا ان تطعن ، منذ الان على مصير العلاقة بين القارىء والكتب ، وافلا نستطيع ، ايضاً ، ان نمنع بعض ادبائنا ، وقد بدأوا طريقهم نحو مؤسسة فرانكلين - من تكلم تلك الطريق غير العربية على اي حال ؟

ايها السادة ..

قد يكون في حقائبكم بعض المشاريع في هذا المضمار ، وهي ستكون مشاريع مدروسة دون شك ، وربما توصلت الى حلول افضل من هذا الحل بكثير ، هذا لا يهم كثيراً المهم ان يستطيع واحدنا دخول مكتبة ما والخروج بما يريد من الكتب .. وان لا تفرض الاغلفة المملوءة نفسها عليه . وان لا يرغمه كتاب مؤسسة فرانكلين على حمله .. وتفضلوا ايها المؤتمر والافاضل بقبول تقدير قارىء يجيد الاستعارة اكثر مما يجيد الشراء .

المخلص : غسان كنفاني

كتاب جديد لابن خلدون

شفاء السائل في التصوف

تعريف للدكتورة سفيثا لانا با تسيفينا
ترجمه عن اللغة الروسية : رضوان ابراهيم

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

الطوقس في الصوفية وضرورة العلم الخاص بها ،
وجملة المصطلحات الخاصة بالصوفيين .

فقد مثلت المناقشات والمناظرات اهتماما كبيرا
بحقيقة الصوفية وجانبا المعنوي ، عندما تناول ابن
خلدون نظرية المعرفة بوجه عام ، ولأول مرة يناقش
ابن خلدون قضايا وحدانية الله وقدرته .

ومن خلال تاريخ الفلسفة كله يبحث في وحدانية
الله وقدرته نتيجة للتدليل على وجود الله ، وهاتان
المسألتان أساسيتان في الفلسفة الإسلامية .

ويفترض ابن خلدون ان الإيمان بوحدانية الله لا
يستمدع الإيمان بالصفات هي في الواقع حقائق جوهرية
مبرزة لوجود الله بمثلة فيه ، وقدره الله متضمنة في
الحتمية التي لا تمنع الحق الإلهي في مسؤولية الناس عن
أعمالهم .

ولأول مرة يناقش ابن خلدون قضية المسألة
الأخلاقية ، ودورها في حياة المجتمع البشري .

بحث كتبه ابن خلدون ، ونشره محمد بن تاويست
الطنجي ، ثم نشره بعد ذلك بوقت قصير الاب اغناطيوس
عبد خليفه اليسوعي ، وهو البحث الذي سماه
بؤلفه « شفاء السائل لتهديب المسائل » (1) وخصمه
لمسائل التصوف .

وهو يتجاوب في بعض موافقه الخاصة — في نظرية
المعرفة — مع فصل علم التصوف في « المقدمة » .

وقد كان من بواعث هذا البحث تلك المناظرات
التي ثارت في ذلك الوقت بين دوائر علماء الإلهيات في
المغرب ومصر حول مسألة : هل يمكن الاكتفاء بمشاهدة
الرسوم ومطالعة الكتب في طريق الصوفية ، أهل
التوحيد والمعرفة الوجدانية لكي تصل الى الحقيقة ، أم
لا بد من الشيخ ؟

ان ابن خلدون يستمسك بوجهة النظر الأخرى ،
ويطور في بحثه هذا البراهين على مسحتها وجدواها .
وهذا البحث مخصص لمسائل نشأة الصوفية ،
وحقيقة نظرية النصوص ، واشتقاق الكلمة ، وجانب

المظاهر المدركة بالحس والعقل بان ذلك من المدارك البشرية ...

فان الوجود المفصل كله مشروط بوجود المدرك البشري ... فالحر ، والبرد ، والصلابة واللين ، وبسبب الارض والماء ، والنار والسماء والكواكب انها وجدت لوجود الحواس المدركة لها ، لما جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس في الوجود ، وانما هو في الدارك فقط ، فاعدا فقدت ادراك المفصلة فلا تفصيل .

ويعتبرون ذلك بحال النائم ، فانه اذا نام وغدت الحس الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة ، الا ما يفصل له الخيال ، قالوا فكذلك اليقظان انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركة بشري ، ولو قدر فقد مدركه فقد التفصيل ، وهذا معنى قولهم الوهم ، لا الوهم الذي هو من جملة المدارك البشرية .

هذا هو ملخص راهبم ، وهو في غاية السقوط ، لاننا نقطع بوجود البلد الذي نحن مسافرون اليه يقينا مع غيبته عن اعيننا ، وبوجود السماء المظلة والكواكب وسائر الاشياء الغائبة عنا ، والانسان قاطع بذلك ، ولا يكابر احد نفسه في اليقين . (المقدمة ، ج ٣ ، ص ٥٧ - ٥٩) .

ونفيا يتعلق بالنظرية والتطبيق فقد تضمن بحث ابن خلدون عن الصوفية شيئا جديدا مستهدا من حياة المادة ، نعم ضالة تصوراتنا عن الصوفية المتأخرة ، ومع وجهة النظر المستقرة في انه « بعد القرن الرابع عشر ، وبعد ابن عربي ، وجلال الدين الرومي ، وعبدالرزاق الكاشاني لم تجيء الصوفية - فيها يبدو - بشيء جديد او اصيل في مجال الفكر ، وحتى مع امكن افاكارها القديمة والمكررة انتشرت وعاشت بالعلوم والعرض الا انها اخذت تنحدر في طريق التدهور » (٧)

ويخبرنا ابن خلدون بمعلوماته عن الصوفية في المغرب والاندلس ، ويطور في العلاقات المحددة للنظرية الصوفية .

ففي نهاية النصف الثاني من القرن الرابع عشر يكتب ابن خلدون في بداية بحثه حينها احتدمت الجدالات العنيفة بين صوفي الاندلس حول هل يمكن ان يقتني الصوفي بالمعارف المستمدة من الكتب « كاجاء علوم الدين » للغزالي ، « ورعاية حقوق الله » للمحاسبي ، ام لا بد من شيخ يتوده في طريق معرفة الحقيقة ؟ حيث يقول :

« اما بعد ، فقد تقفني بعض الاخوان باقها الله على تقييد وصل من عودة الاندلس ، وطن الرباط

وقد سجل الباحثون دور الصوفية كنظام للاخلاق السلوكية في الاسلام (٢٠)

ويصور ابن خلدون « الايمان الحقيقي » للصوفيين كنشاط خاص لاصلاح النفس اخلاقيا ، ومحاولة للوصول الى السعادة الحقيقية بالاتصال بالله ، املا في ثوابه عن الحياة المظهرة .

ولا تؤثر « المعرفة الحقيقية » للصوفيين على مسيرة تطور المجتمع ، ولا على العلاقات المتبادلة بين الناس ، حيث يكتب ابن خلدون في بحثه هذا قائلا : « ان عقل البشر موجه الى البحث عن وسائل المعاش وعلاقات البشر بعضهم ببعض ، واذا ذهب هذا العقل وقنع الضر بالانسان ، اما اذا لم تلغ النفس في الوصول الى معرفة الحقيقة الالهية فان هذا لن يضرها » (٣)

والنتيجة النهائية التي اقتبسها (٤) خلفاء ابن خلدون عنه فيها بعد كانت تطورا منطقيا لفكرته عن طبيعة القوى الدافعة للمجتمع البشري ، وهي مبسطة في مقدمته .

والاكتنايات الواسعة للكليات الفلسفية المثلثة في الصوفية ، واستخدامها برهانا ساطعا على الطبيعة البشرية توجد في مؤلفات نافون (٥) على سبيل المثال .

وقد استخدم ابن خلدون الصوفية ، وبحث تضارياها للفصل النهائي بين العلوم العقلية والبشرية ، التيلولوجية ، مستبعدا لحظة التساهي من دائرة العلم ومن قوانين الحياة الاجتماعية .

وبهذا استطاع ابن خلدون ان يبدع نظريته المادية في تطور المجتمع .

وترتبط تضاريا نظرية المعرفة بفكرة البحث المشابهة لما في « المقدمة » من استحالة الوصول عن طريق العقل الى الظواهر التي هي وراء مدارك العقل البشري (ص ٢٥ ، ٥٨) « فالعقل البشري يمكن ان يصل الى معرفة قوانين العالم الطبيعي المدرك بالحواس لاغير ، اما معرفة ظواهر العالم العلوي فانها من خواص الروح ، وليس ذلك في قدرة العقل البشري .. ومعرفة ظواهر ما وراء العقل البشري ممكنة بمساعدة خصائص مميزة للنفس المستعدة للتسلخ عن جميع الدارك الحسية ، والنحول في لحة الى عالم الملائكة ، والحقيقة الروحية . . وهذه هي المعرفة الحقيقية للانباء والصوفيين » (٦)

وبالمقارنة الكاملة بين هذا وبين ما يقوله ابن خلدون في المقدمة (ج ٣ ، ص ٧٠ - ٧٢) يتبين لنا كذلك نقد ابن خلدون لبحث النالية الذاتية عند متأخري الصوفيين ، وطبقا لهذه النظرية « غاطلوا في غريسة

فالتسك ، والزهد ، والتشقق ، والنواصي بالخير
والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والبعد عما
يقبل عليه الجمهور من لذة ومال ، كان عابا في الصحابة
والسلف .

وكان تشقق الصوفية في البداية اقتداء بأسلوب
حياة الخلفاء الراشدين ، « فلما فشا الإقبال على
الدنيا ، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا » اختفى
المقلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة باستثناء
الواجبات الدينية للمسلمين الخرين .

وهنا نشأ في الشريعة صنفان من العلوم :
الصف الاول خاص بالفقهاء وأهل الفتيا ، ويتضمن
الاحكام العامة في العبادات والمعاملات ، وهو الذي يسمى
الفقه الظاهري .

أما الفقه الباطني فهو خاص بالقوم في القيام بهذه
المجاهدة ، ومحاسبة النفس عليها ، والكلام في الأنواق
والمواجيد العارضة في طريقها ، وكيفية التزقي فيها
من ذوق الى ذوق ، وشرح الاصطلاحات التي تدور
بهم ، وهذا الصنف هو التصوف .

« فإوامر الشريعة التي تخدم البشر تنحصر في
نوعين : القوانين التي تخص العمل الظاهري ، وهذه
القوانين هي الخدمة البدنية والعبادات الدينية ، والقانون
المتصل بالعمل الداخلي ، أي بالآلهان ، وجميع موضوعات
هذا النوع هي كفيات في قلب الإنسان ، وهذه الكفيات
ينشأ عنها كل الصفات الجديرة بالثناء ، مثل العفة ،
والشجاعة ، والسباحة ، والتواضع ، والصبر ، وكل
الصفات التي تستحق اللوم ، مثل التكبر والفسور ،
والحسد والسفينة .

والبواعث الداخلية — طبقا للشريعة — أكثر
أهمية من المظاهر الخارجية ، فالنشاط الخارجي نتيجة
للنشاط الداخلي ، وإذا مسح الأساس صحت النتيجة ،
وإذا فسدت كانت النتيجة فاسدة ، والنبي صلى الله
عليه وسلم يقول : « لا وان في الجسد مضغة اذا
صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد
كله ، الا وان هذه المضغة هي القلب » .

كذلك يقول النبي : « ان الله لا ينظر الى موركم
والوانسكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم » .

والجهاد ، وماوى الصالحين والزهاد ، والفقهاء والعباد .
يخاطب بعض الاعلام من أهل مدينة فاس ، حيث الملك
بزار ، وبحار العلم والدين تزخر ، وثواب الله يعد
لاتصاره ، ويختر طالبا لكشف الغطاء في طريق الصوفية
أهل التحق في التوحيد الذوقي والمعرفة الوجدانية :
هل يصح سلوكه والوصول به الى المعرفة الذوقية ،
ورفع الحجاب عن العالم الروحاني : تعلمنا من الكتب
الموضوعة لأهله ، واقتداء بأقوالهم الشارحة لكيفية —
فتكتي في ذلك مشافهة الرسوم ، ومطالعة العلوم ،
والاعتماد على كتب الهداية الوافية بشروط النهاية
والبداية ، « كالأحياء » ، و « الرعاية » أم لا بد من
شيخ يبين دلالته ويحذر غوائله ويميز للبريد عند اشتباه
الواردات والأحوال — مسائله ، فينتزل منزلة الطبيب
للمرضى ، والإمام العدل للآلة الفوضى ؟ » .

وقد وقعت مشاجرات ومناظرات انقسم المتناظرين
فيها الى فريقين ، ولم يقتصر على الجاريات الكلامية ،
بل وصل بهم الامر الى حد الإلتحام و « التشابك »
بالتعالم (٨) .

نقد كتب أحد مشاهير متصوفة الاندلس ، وهو أبو
اسحاق ابراهيم بن موسى الشافعي المتوفى عام ١٢٨٨
الى علماء الاهليات في فاس — وهي أكبر مركز في ذلك
الوقت لعلماء الاهليات — شارحا اسباب الجدل ، وطالبا
الإفصاح عن الرأي لهذا السبب .

وقد استجاب لهذا الطلبين مشاهير علماء الاهليات
في فاس أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن عبد الرؤندي ،
المتوفى عام ١٣٩٠ ، وأبو العباس أحمد بن القاسم بن
عبدالرحمن القباب ، المتوفى عام ١٣٧٦ ، وقد حفظت
اجابتهما في كتاب معاصرها أبو العباس أحمد بن
يحيى بن محمد الانشريسي (٩) .

وبالإطلاع على هذا الكتاب اسم ابن خلدون في
الإجابة على هذه المسئلة وحل تلك المسئلة ، وكانت
اجابته على أسئلة الصوفيين الواردة من الاندلس
هي موضوع بحثه هذا ، المكون من ثلاثة أقسام
أساسية ، يدخل تحتها كثير من الاجزاء التي تبحث في
المسائل الرئيسية التالية :

فالقسم الاول مخصص لحقيقة التصوف ، واختلافه
عن علوم الشريعة الأخرى ، وجلة المصطلحات الصوفية .

فهو الذي يمثلُه القسم الثالث من هذا البحث ، وهو عن :
« كيف لم يتعلم متأخرو الصوفيين تباها لمفهوم الصوفية ،
وتفنيده وجهة نظرهم في هذا الحسبان » .

وهنا يكتب ابن خلدون : « علم التصوف ينقسم
الى قسمين : علم بقواعد الورع والنسك والزهد ،
وعلم يكشف حجاب الحس ، وما يرتب على هذا ، وهو
ما يسمى « بالعلم الباطني » .

وحقيقته تنحصر في انه عند افراغ القلب من الصفات
الذهبية ، وعزله عن المادك الحسية ، ورفع
الحجاب عنه ، يتكشف له العالم الالهي ، وسر الحياة
العليا والسفلى ، ويتضح له معنى العلوم والفنون ،
وكل انواع المعارف .

وعوائق هذا هي خاصة الجسم ، والصفات
الذهبية للبشر ، وبهذا فان النوع الاول من علوم التصوف
هو العلم بطريقة افراغ القلب من الصفات الذهبية ،
وعزله عن الشهوات ، وتحريره من جميع الخواص
البشرية .. والزهد .. » . (شفاء السائل ، ص
٥٢ - ٥٣)

وخلال متأخري الصوفيين في رأي ابن خلدون
ينحصر في أنهم ادخلوا الصوفية في النوع الاول من علم
التصوف ، وفي الزهد والتقصي ، وهي مرحلتها الدنيا
فقط ، وقد استبعدوا من مفهوم « الصوفية » مرحلة
« كشف غطاء الحواس » ، وما يبدو رئيسيا في الصوفية
ان ابن خلدون يهتم متأخري الصوفية بأنهم « صنعوا
صوفية العلم لتستخدم الكتب والدفاتر بقدر
الحاجة » (شفاء السائل ، ص ٧٠)

ويرى ابن خلدون في هذا المفهوم الضالط
« للصوفية » من علماء الاهليات في الاندلس سبب نشأة
الجدل ، ويوضح ابن خلدون ان المرحلة العليا لمعرفة
الحقائق تأتي عن طريق رنec حجاب الحس ، والبرهان
الكامل المباشر على عالم الحقائق الروحية بطريقة لا يكتفي
فيها الكتاب .

ويقسم ابن خلدون كل الطرق لمعرفة حقيقة
الصوفية الى ثلاثة اطوار اساسية ، وهي التي تنطبق
في حقيقة الامر على الشريعة التقليدية والحقيقة والطريقة:

١ - الزهد ، وهو مرحلة يمكن ان يستغنى فيها

وتوضيح ذلك ان الله جل شأنه اوجد في تلبس
الانسان غرائز وقوى ، كل منها نحاول ان نشبع طبيعتها
فغريزة الغضب مثلا تقتضي الاخذ بالثار ، وبه يتحقق
هذهنا الطبيعي ، وتكمل تمنعنا ، وغريزة الشهوة
تطلب اللذة .. وبغرائز مشابهة يطلب العقل اكتساب
المعرفة ، وفكر الانسان منتج دائما الى اكتسابها ، وهو
بذلك يسعى نحو الكمال الاسمي ، اي معرفة الخالق ،
ولهذا فانت لا ترى ما كان من كماله .. » (١٠)

وعلى هذه الصورة يشرح ابن خلدون الافكار
التقليدية للمفقه الظاهري والباطني الذي كان يجمع
في وقته علم التصورات ، والمؤلفون الذين يذكروهم ابن
خلدون في هذا القسم هم القشيري ، والسهوردي ،
والغزالي .

وفي كثير من المواضع يذكر ابن خلدون مجموعة
المصطلحات ، وخاصة مصطلح « الصوفية » ، وبمفهومه
عنده لا يخرج عن المفهوم المتعارف عليه .

اما القسم الثاني من البحث فهو مخصص لشرح
الطريقة ، ودرجاتها المختلفة ، وهذا القسم يجعل كذلك
القشيري ، وبلاضافة الى التحليل التام ، وفي هذا القسم
يشير ناصر البحث الى انه في مواضع كثيرة من النص
يتفق ابن خلدون حرفيا مع « احياء العلوم » للغزالي
و « روضة التعريف » للسان الدين بن الخطيب (١١)

والتعديل المبدئي لمراحل البحث يقدمه ابن خلدون
في فصل المتصوفين من « المقدمة » ، حيث يقول :
« الانسان بها هو انسان ، انما يتميز عن سائر الحيوان
بادراك العلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم
فاعلمني المعامل بنشأ من ادراكات وارادات واحوال ، وهي
التي يتميز بها الانسان .. وكذلك المريد في مجاهدته
لنفس وعبادته لا بد وان ينشأ له عن كل مجاهدة
حال ، وتلك الحالة اما ان تكون نوع عبادة فترسخ
وتصير مقابلا للمريد ، واما الا تكون عبادة ، وانما تكون
صفة حاصلة للنفس .. والمعالم لايزال المريد يترقى
فيها من مقام الى مقام الى ان ينتهي الى التوحيد
والعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة .. » .
(المقدمة ، ج ٣ ، ص ٢٩) .

واما الاهتمام الاكبر بوجهة نظر النظرية الصوفية

خلدون الى مصر — توجد مجموعة من المواقف التي تتجاذب مع هذا البحث الذي ادخله في مجال المناقشة مرة بعد اخرى . ثم طوره فيما بعد .

كل هذا يسلح اساسا لافتراض ان يكون ابن خلدون قد كتب بحثه عن الصوفية وهو في مصر . بل من المحتمل ان يكون قد كتبه بعفة خاصة بناء على طلب من دوائر علماء الاهلياء من المصريين .



- (١) ابن خلدون ، شفاء السائل لتهديب المسائل ، اسامبول ، ١٩٥٨ .
- (٢) هـ . فرك ، الصوفية عند ابن خلدون ، ليزج ، ١٨٨٤ ص ٢٨ .
- (٣) انباء البطل ، ص ١٠٨ .
- (٤) احمد بن محمد زروق الفاسي ، القاهرة ١٣١٨ هـ ، ص ٢٤ .
- (٥) أ . ب . رنلي ، التصوف والادب الصوفي ، موسكو ، ١٩٦٥ ، ص ٤٩ .
- (٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٣ ، ص ٢٩ ، والنص مقبس من نشرة أ . م . كازيمر « ملاحظات ومقبسات من مخطوطات المكتبة الامبراطورية » المجلدات ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ج ١ ، باريس ، ١٨٥٨ ، والمجلد الثالث يطبق في الاستشهاد المجلد الثامن عشر .
- (٧) أ . ب . بروفوسكي ، الاسلام في ايران بين القرن السابع والقرن الخامس عشر ، لبنجراد ، ١٩٦٦ ، ص ٣٨٨ .
- (٨) يخبر عن هذه الاحداث بالتفصيل كتاب « قواعد التصوف لزروق » ، ص ٢٤ .
- (٩) ولي الدين الاشريسي ، المعيار العربي عن غناوى افرقيسة والاندلس والمغرب ، فاس ، ١٧٤٢ ، ص ١١ - ١٢ .
- (١٠) ابن خلدون ، شفاء السائل ، ص ٥ - ٧ .
- (١١) نفس المرجع ، التقديم ، م - ن .
- (١٢) نفس المرجع ، التقديم ، د .
- (١٣) ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، نشر محمد بن ثابت الطنجي ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

المريد عن المرشد ، حيث تكفيه معرفة قوانين الشريعة من الكتب ، اذ لا يقدم له المعلم في هذه المرحلة اكثر مما يعطيه مؤلف الكتاب .

٢ - مرحلة « الاستقامة » ، وهي خاصة للنفس ، اي تحول في طبيعة الانسان للوافق مع القرآن وخصائص الانبياء .

وفي هذا الطور كذلك يمكن ان يستغني المريد عن المرشد ، ولكنه من الاحسن ان يوجد ، من اجل المجاهدة لادراك الكيفيات الروحية ، واختلاف الوان الاحاسيس القلبية ، والمجاهدة في سبيل اصلاحها .

٣ - واطرا نأتي المرحلة الثالثة ، المتصلة « برفع حجاب الحس » والخرج الى عالم الحقائق الروحية ، وهذه الحالة تحتاج بالضرورة الى مرشد .

وتتميز هذه المرحلة عن المرحلتين الاخرتين ، لان الشريعة — مأخوذة في ذاتها — معنى الاصل في السعادة بعد الموت ، ولكن هذه المرحلة تجعل عليها الوصول الى السعادة الكبرى قبل الموت .

وبهذه الصورة تكون تلك المرحلة برحلة خاصة بقوانينها ونظرياتها ، لان الوصول الى الهدف هنا لا بد له من استاذ عارف سابق في هذا الطريق ، واصل الى عالم الشهادة ، ولا بد ان يكون المريد بين يديه « كالامى المتقصد الى شاطئ البحر ، او كالمليت بين يدي من يفصله » . (شفاء السائل ، ص ٧٣ ، ٧٤)

واخيرا .. يحسن بنا ان نتوقف منذ مسألة تاريخ تأليف هذا البحث ، فالتأثير يميل الى ان يؤرخه بتاريخ سابق على عام ١٣٨٠ ، قبل رحيل ابن خلدون الى مصر . (١٢)

وبالفعل يتحدث ابن خلدون في بداية البحث ، فيذكر علماء فاس من بين من جرت معهم المناظرة في موضوع التصوف ، لكن من الممكن ان نفترض ان ابن خلدون كتب بحثه عن الصوفية في ابان اقامته بمصر ، ففي « السيرة الذاتية » (١٣) يتحدث ابن خلدون اكثر من مرة عن كيفية اهتمام المصريين في ذلك الحين بمسائل التصوف ، ومدى انتشار الصوفية حينئذ في مصر .

كذلك في « المقدمة » — وهي مكتوبة قبل رحيل ابن

مخبر ابن سامة

شعر العضوي الوكيل

هذه أبيات وجهها الشاعر الى حفيدة الطفلة التي
تعيش مع ابوها في الولايات المتحدة الأمريكية



في ثنايا ابن سامة ونك معنى
لم يزل يخنلته روعي وعقلي
هو معنى كالطيف يبدو رقيقا
ولقد صار - مذ رايتك شغلي
ان اكن غدوت كهلا فاني
في سنه الجبل لست بكهل
هو معنى لا بعد فيه ولا قبل
وايان وضع بعد وقبل
شعلة من مشاعري تتراى
بسمة نضدت بورد وفل
ولئن قلت ان جدي قد قال فلا شك انت اجمل قولي
مذ خمسين قد حلت بمعناك وجلال للخيال المجلي
مذ بعدي خيل البرية في الدنيا كما مده جدودي قبلي
ولئن الحياة تنسا وجبا
ورعبنا الحياة خلا لخل

●● <http://Archivebeta.Sakhril.com>

لم يدع لي ابي سوى ارب مجد
زدت فيه فقهت اعلي واعلي
نحن من يمنح الحياة معانيها حسنا غرا اولئك اهلي
نحن كالانبياء - نكرم بالمال وبالعرض نحن اصحاب بخل
تنسأى عن الدنيا نرضى
بالحنايا ولا نعيش بذل
ان يقل فاخر من القوم اصلي
قلت اصلي هذا فدونك اصلي
عفة في صراحة في ابياء
في نقاء وبذل من جاد بذلي
يا اينتي هذه شمائل قم
انت منهم حالك اعلى محل
فاذكريهم يطب بهم كل قول
واتبعيهم يطب بهم كل فعل
العضوي الوكيل

« أنت سيد نفسك »



بملم / عبدالعزیز جادو

الوسائل والاسباب والمعدات والالات
وسائر الوسائل التي تمهد لنا الطريق
للوصول الى الغاية التي ننشدها .
« غاندي »

إذا أردنا ان نصل الى غاية من
الغايات السامية فعلينا ان ندرس الطرق
والوسائل التي توصلنا اليها بغاية
واققان ، ثم نترود بكل ما نحتاج اليه من

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ليس الانسان طيبا بطبيعته ، ولا
هو شرير بسليقته انما يولد بغرائز
واستعدادات يفسدها المجتمع او يرقى
بها .

« بلزاك »

ان الصخرة العاتية التي تفترض
طريق الضعيف فتصده وتقعده به بعيدا
عن غايته ، هي الصخرة التي يلتقيها
القوي في حفر الطريق ووهدهانه لكي
يجعله ممهدا سويا .

« كارليل »

فالمعدل الواعي هو ذلك المظهر من العقل الذي
يمكنك ان تفكر به تفكيرا واعيا ، وتوجه به افعالك
بوعي وشعور . ويمكن تعريفه بأنه الحالة العقلية
للانسان وقت اليقظة . . وفي هذا المظهر من العقل نجد
القوة الاستدلالية . واني ارى ان هذا المظهر من العقل
لا يتطلب بيانا مسبقا ، لان اكثر الناس على علم تام بعمل
عقولهم الواعية .

اما العقل اللاشعوري فهو اشبه بها نراه عندها
نقف على ضفة بحيرة وننظر الى سطحها . فنحن لا نرى
حينذاك الا جانبا صغيرا لا يعتد به . اما الذي

إذا أردنا ان نحقق نجاحا اكيدا من رحلتنا العقلية
هذه التي نقوم بها ، فمن الضروري ان نفهم بوضوح
انفسنا ، وان نكون على بينة مما يكتنف حياتنا ، وان
نحيط عليها وادراكا بالتعبير الطبيعي عن الحياة ، وبما
تكون عليه الحياة السوية .

لقد قسم معظم علماء النفس العقل الى طورين
او مظهرين هما : صورتا العقل الواعي ، والعقل الباطن
او اللاشعوري . وهاتان الصورتان تملكان معا جنبيا
الى جنب ، ويذا في يد ، ولكتهما مع ذلك مختلفتان تماما
في اسلوبهما .

واحِب ان يفهم قارئى العزيز ان هذه التأثيرات ان هي الامويل نجسب . ونحن الذين نوجه اقدارنا، ونكيف تسمتنا ونصيننا ، وبأبدينا ان نسوق مصيرنا او ندفعه عنا .

ونحن نجد الفرق شاسعا والتفاوت كبيرا بين فرد لا ينمى شخصيته وفرد اخر يخضع قواه الواعية واللاشعورية لقيادة ارادته ومشيتته ، وحرية اختياره ، ويعود قواه وقدراته على حب النظام والطاعة للجهل الكدود ، الثأير ، ذو الحزم والعزم الشديد ، ان احدهما يحرك الدنيا ويهزها ، والاخر تحركه الدنيا وترزعزع كيانه ، احدهما فاتح منتصر مظفر ، والاخر عبد من رقيق الارض ، احدهما يركب السيارات الفاخرة ، بينما الاخر يسير على قدميه ، احدهما يصل الى مطاعمه ويبلغ مراده ، والاخر يتعسر على قسمته وينبذ حظه في الحياة، احدهما يدخل في رحاب التجاح والتفوق من اوسع الابواب ، اما الاخر فيقف على عتبة باب الامل رجاء قبول الاذن بالدخول .

وجهان من العقل مختلفان :

والسلوك اللاشعوري ذاته سهل الانقياد للإلهامات التي تأتيه من العقل الواعي .

والعادات تتكون بال تكرار والاعادة ، وبالتفكير الملح في فكرة معينة او عمل معين . وعقلك اللاشعوري اما هو بمثابة خادم مطيع لك . سطيع اوبرك بعد ان تكون قد التست اتجاها امرا ، بانا .. حينئذ يكون قد اقتنع بانك السيد المسيطر على نفسه ، القادر على تادية الائمة على خير ما يكون الاداء .. والاتجاه الصحيح هو الذي يؤدي الى الثقة ، والى ايجابية .

ودعنى اكرر لك هنا مرة اخرى — يا قارئى الكريم — ان كل شيء سبق ان سمعته ، او رايت ، او قرأته ، او سمعته به ، او خبرته ، انما هو مخزون هناك بعيدا ، بعيدا .. بمعنى هذا ان لديك رسيدا كبيرا لا يستهان به من المعلومات والتجارب يمتلكك ان تسحب منه ما تشاء وقتها تشاء .. وبوسع هذا العقل الخازن ان يجمع حقائق لا عد لها ولا حصر تتعلق بالمشكلة التي تعانها .. واولئك الذين على صلة وثيقة بهذا الطور من العقل يكونون اقدر على « الرؤية » او « الالهام » .

ولا ضرب لك مثلا رجلين اشتريا قطعة من عقمار في مكانين مختلفين . وبعد مدة من الزمن نجد ان احدهما باع قطعه بربح كبير ، بينما الاخر لم يتيسر له بيعها حتى ولو بالخصارة . فكيف وقع الاختلاف وعلى اى وجهه ؟ .

يصعب علينا رؤيته فهو ما تحت السطح من اعباء سحيقة .

والعقل اللاشعوري مخزن كبير للكثير من الخبرات المكتوبة ، ولكنه لا يملك اية قوة تحليلية او استدلالية . وعنه تصدر بعض انواع السلوك المستهجن واللامعقول . وتعتبر حياة الحلم احيانا تعسيرا عن هذه الذات اللاشعورية . وكلنا نعلم مما نراه احيانا في احلامنا انها بخالفة للعقل بل من المستحيلات .

الم تعجب في بعض الاحيان من وقوعك فريسة للوهم والخوف والضعف مع علمك بها لذلك من ضرر ؟ . والاجابة هي ان مثل ذلك السلوك عبارة عن تعبيرات لا شعورية . واللاشعورية او الوعي الباطن ليس له قوة استدلالية .

وهذه العقلية المنفردة ، اللاشعورية ، اللامعقولة ، كانت معروفة منذ سنين عدة ولكن بغير وضوح . يحوطها كثير من الشك ، ويحوط الاعتراف بها عتبة وضباب كثيف . ولقد غدونا الان — مع مرور الزمن — شيئا فشيئا على دراية واسعة بهذه الاغوار السحيقة اللامتناهية من العقل . ونحن حين ندرس الحقائق المذهلة المتعلقة بها نتف في بعض الاحيان ، وفي اغلب الامر ، في خشية ورهبة ومهابة .

وفي طوايا هذه الذات اللاشعورية ، وفي غواناتها تحفظ ترتيب دقيق سجلات منبهة لكل شيء مما تكون قد سمعناه ، او قرأناه ، او رأيناه ، او شعورنا به . او خبرناه . انه اشبه بسرداب كبير امين على حفظ الدوايح في بداخله الكثيرة ، واقسامه المختلفة ، واوعيته العديدة .

المسول الموروثة :

والصدر الاول لهذه المادة في العقل اللاشعوري هو : **الوراثة** . فلقد اتينا جميعا الى الحياة باطمبيعات وتأثيرات وذاكرات لا شعورية ، اخذناها عن اسلافنا واجدادنا . ولكن اننا نتاج تلك الحياة السالفة ، فقد كنا — من قبل — بلا شخصية ، وبخلف لم يكتمل نموه ذاتيا .. ولذلك ترانا مطبوعين بطابع ما قد ذهب من قبل في سلسلة نسبنا ، من قريب وبعيد . ولكننا بالتدريج نلامس الحياة ونسايرها ، ونلتقي مع العالم وننصل به ، بطريقة مفرية وغير مرنية ، مباشرة وغير مباشرة ، بالحداس وبغير احساس ، وتعاقل معه شعوريا ولا شعوريا ..

اذن فهو « الانسا » الفردي الذي بدأ في الظهور ليكشف عن نفسه ، ويأخذ في تحسين هذه المسول الموروثة والعمل على ترقيتها .

ولكن ما صلة هذه العقلية اللاشعورية بالصحة والسعادة ؟ ..

ورأسة الصفات :

ان معظم الباحثين المبرزين في هذا الجانب اللاشعوري من الحياة ، من امثال برنهانم ، وغوريل ، وديبوا ، وبرامويل ، قدموا لنا الدليل القنع لقوة العقل اللاشعورية في احداث تغييرات هامة في الوظائف الطبيعية . وان عمله من هذه الوجهة ربما يكون اكثر عمقا واكثر عالمية مما للعمليات العقلية الواعية .

ثم ان الفكرة ، والصورة الذهنية ، والاتجاه ، حينما تكون جميعها باطنية ولاشعورية ، فانها تكون قادرة على التأثير في الجاهل المسمى ، وفي التغييرات الكيميائية التي تحدث في التركيب الطبيعي بأكمله .

والحالة الصحية التي يمتلكها كل شخص يحتمل ان تكون وثيقة الصلة — اكثر مما هو مفهوم — بهذه العملية اللاشعورية المميزة . وهي في الحقيقة ، ليست محتملة محسب ، ولكنني تحققت مرارا من ان مظهر الانسان وملاحظه واساري وجهه ، وثيقة الصلة بهذه العملية اللاشعورية . فالانسان حين يكون سائرا في طريق مزدحم بالناس فانه يرى انواعا مختلفة وشكولا متباينة من التعبير . فهذا وجه يبدو عليه الخوف ، وذلك يتم على شكل وجع ، وآخر يظهر عليه الكراهية والبغض ، وآخر يظهر عليه الحلاوة والطلاوة والعذوبة والرفق والظرف . وهناك وجه تنقصه بعض تغييرات طفيفة ليكون اقرب شيئا الى التعلب ، وآخر اقرب شيئا الى الذئب .

انها ورأسة الصفات ولا شك .. وانها انتقال صفات الوالدين الى اولادهم هي التي تدخلت في هذا . ولكن مع كل ذلك فالتأثير كل التأثير ، والقدرة كل القدرة ، انها ترجع جميعا الى نشاط العقل اللاشعوري .

واذكر ان ورأسة الصفات ايضا ان هي الاميل لاشعوري ، او صورة ذهنية لاشعورية . فاذا نشأ الفرد منذ طفولته بشوشا ، مرحا ، ملئنا بالامل والثقة في المستقبل ، انظن انه حين ينمو ، ويكتبل جسده تتغير ملامحه وتطابع وجهه ، فتعبر عن الخوف او الغضب ، او الارتباب او الشك او البغض ؟ .. ان هذا مناضض للطبيعة . ولكن مع ذلك جائز اذا انتقلت حياة المرء فيها بعد واضحت شكا وخوفا وانقلبت وحزنا .

هل يمكن تهذيب العقل الباطن ؟ :

فمن الواضح اذن ان احدي مشكلاتنا الكبرى هي مطلب هذه المنطقة الداخلية ، الخبوءة . فهل يمكن ان

الاول عنده الرؤية ، وامكنه ان يرى مجريسات الحوادث واتجاهاتها ، وان يتصور ما قد يؤول اليه الجوار في سنوات مقبلة . اما الاخر فقد اشترى بكل بساطة لانه وجد ان المقار رخيص ، ولانه وقع تحت تأثير بالغ ماهر متمرس اعطاه صورة مغرية للامكانيات المستقبلية .

لقد استعمل الاول تخيله وسحب من رصيد خبراته الماضية ، اما الاخر فقد استعمل عقله القاصر ، وانقاد الى نتيجته .

الم تحاول ذات مرة ان تتذكر اسما من الاسماء ، وتحاول ما شئت لك المحاولة ، جاهدا دون جدوى . وما يكاد يخطر على ذاكرتك حتى « يزوغ » منك كما لو كان برقا واخفتي ؟ ثم الم يحدث لك بعد ذلك ان تفكر في شيء اخر بعيدا كل البعد عن ذاك الاسم ، فيبرز بغفلة ، ويندفع نجاة في عقلك الواعي بطريقة اشبهه بطفلة سريعة من بنفذية ؟ .. ان هذا الا مثال بسيط عن كيفية استخراج الاشياء المخزونة من العقل اللاشعوري ووضعا امامك . فانت في بادئ الامر شرعت في القيام بفعل لاشعوري عندما حاولت باجتهد في التفكير في الاسم ، واثرت على العقل اللاشعوري بما فيه الكتابة ، حتى تم لك ما اردت .

ويمكنك ان تستعمل عقلك اللاشعوري كحارس ايضا . فقد يحدث في كثير من الاحيان ان يتنبه المرء لاشعوريا الى خطأ ارتكبه في اثناء التناول او في وقت الحديث للمرء حين يكون في فراشه يطالع في كتاب فيخطر له فجأة انه نسي ان يضع في مطروف معين احد المستندات .

والرجل المتوسط يتأثر الى حد بعيد بعقله اللاشعوري اكثر من تأثره بعقله الواعي . ومعظم الاشياء التي نقوم باذائها في اثناء تجاربنا اليومية انها تنم عن طريق العادة .

والعادة اذا كانت مستندة الى العقل الباطن تصبح من البواعث التي تجعل الناس يفترون احيانا الاتسام ، ويرتكبون الجرائم ، وينزعون الى الشر ، ويقومون باعمال ما كانت لتخطر لهم ابدا على بال . وهكذا نرى ان القوى اللاشعورية لها سلطانها ونفوذها .

والعقل اللاشعوري هذا يؤدي دورا له اهميته في صحتك ، وفي سعادتك ، وفي نجاحك . فني امكن هذا العقل اللاشعوري ان يشرع في اجراء تغييرات هامة وعجيبة فيك اذا جاءته منك قوة دافعة او محركة تبعثه للعمل .

يذهب العقل الباطن ويعلم من جديد ؟ . هل يمكن ان
تصاد صياغته او يعاد تنظيمه مرة أخرى ؟ .

انه لما كان موجودا الان في كل فرد فهناك عاملان
مختلفان يتحكمان فيه بدرجة كبيرة : الاول ، وهو وجود
اثر لا يزال باقيا من حيوانية انحدرت اليه من المصور
الغابرة حين كان الانسان - وهو اصغر بكثير من اي
حيوان - يكافح نحو الانسانية . ولقد انتقلت كمية
كبيرة من غريزة الحيوان في طريقها من تلك الازمان
السحيقة التي نحن الذين نعيش في هذه الدنيا .. ومع
كل فليس لنا ان نستنهين تلك الطبيعة الانسانية التي
نتلق عليها : « الناسوت » ، ونعتبر انها مجرد قشرة
خفيفة تغطي او تكسو حيوانا بداخلنا .

وهذا ينسر جزئيا بزوغ كثير من الدوافع المعقدة
التي نتاجها الناس والتي تميل الى الانزلال من قدرهم
والهبوط بهم الى الدرك ، والتي تقودهم في بعض
الاحيان الى الاجرام .

رواسب من حالات الماضي :

والعامل الاخر من عوامل العقل اللاشعوري ، هو
راسب او بقية باقية من حالات الماضي توالفت من
عمليات الذهن الواعي . فلقد كان لدينا في كل يوم خلال
حياتنا الماضية ساعات عديدة نقضيها في التفكير الواعي ،
والافتكار من كل نوع ما دامت مفهومة ومقبولة وفي حدود
الاداب العامة فلا مانع من ان يسمح لها بالتفرد . ولما
كانت الصور الذهنية بانواعها العديدة تنطوي احيانا
على اغراء شديدة ، وخروج على حدود الاداب ، او كانت
مما يثير كبريات الية ، فان العقل يميل الى ابعادها .
فاذا ما ابعدت كان من المفروض ان تزول وتختفي تماما
وتنتهي الى غير رجعة . ولكن لا .. ليس الامر كذلك ..
وليس هناك في الحقيقة اية صورة ذهنية او اية صيغة
مكرية قد امحت ايدا ، فهي لا تزال باقية . ولا بد ان
نتذكر اثره على النسيج الرقيق من الحياة الكابسة ،
الباطنة . تماما كالصورة على لوحة المصور .

ولكن ليس ثمة موجب للقلق بشأن هذه الصور
الذهنية الغير مرغوب فيها . فمع ان هذه الانطباعات تظل
باقية خلال بناء حياة فكر جديدة ، فانها تعمل على تكوين
خاواير غاية في الابداع ، واللفظ ، والمصنف ، وتكون
دائما نبعسا فياضاً يساعد كثيرا في عمليات الخلق
والابداع كما نجد عند الادباء والمصورين وغيرهم ..

مأساة لم تم :

اذكر ان سيدة جاتني ذات يوم منذ بضع سنوات
وقعت علي قصتها :

« نصحنى احد اقاربي بزيارتك لاستشيرك في امري
مؤكد اني اسجد لديك حلا موقفا لمشكلتي . » ان الذي
اعانيه قد آل الى بالوراة . فلقد نشأت منذ طفولتي
وبي طبع ثائر جويح ، سرية الغضب ، اثار لانفسه
الاسباب . وكان ابي وجدي يمانيان نفس هذه الحالة ..
وانا انا ام لطفلين صغيرين ، ولي زوج مخلص يجني
ويحتم علي ، وانه لسبور طويل الاناة . ولكني ارى ان
ان بيتي يوشك ان تنقوض اركانه بسبب هذا الطبع ،
وان زوجي لا بد سينفذ صبره يوما وينهي الخلافات
التي بيننا بالانفصال عني . ولقد ائترني فعلا بانني اذا
عدت الى هذا الشجار مرة اخرى فانه سيجزم امتعه
ويترك لي المنزل الى غير عودة . واني اعتقد ان الطبع
الموروث متاصل الجذور ليس من السهل الاتلاع عنه .
فكيف اتين من تغير طبيعتي وهذه حالتي ؟ . انني لفي
حيرة شديدة ، وفي خوف من ان اهدم بيتي .. »

فقلت لها انها لا يمكنها باي حال ان تغير قوى
طبيعتها . ولكن في استطاعتها ان تحصل على قيادة
حكيمه وسلمية كبيرة تتحكم بها في هذه القوة الشديدة
التي توشك ان تحطم حياتها . وفي امكانها ان تتعلم
كيف توجه هذه القيادة وتديرها بطرق واساليب ليس
فيها ضرر البتة لها او للآخرين .

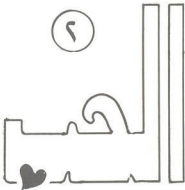
فقلت لي بلهجة فيها شك وعدم اطمئنان :
« لنحاول جودي ان اعمل بنصيحتك .. »

ولقد علمت من هذه السيدة بعد ذلك انها تغلبت
فعلا على المادة الغضبية بدون سبب . وامكنت ان تصلح
ذات البين بينها وبين زوجها .. واناها لسيدة كل
السعادة ، هائلة في معيشتها ، راضية كل الرضا ..

فنحن لا يمكننا ان نقضي عنا العواطف الباطنة
القوية التي تعتبر طبيعية بالنسبة لنا ، او التي تطبقنا
بها .. ولكننا يمكننا ان نسيطر عليها ونحكمها ونوجهها
ونستعملها لنفعلنا . حتى تكون هذه القوى تحت امرتنا ،
تعمل لنا ، ومن اجلنا ، بدلا من ان تعمل ضدنا .

ولا ننسى هنا واجب الآخرين حياتنا . انه يجب
عليهم ان يساعدونا . اذ لا شك ان زوج السيدة
السابقة مطالب بان يكون حكما وسياسيا في معاملته
لها بحيث لا يغضب كثيرا من سلوك يفرسه نفسه عليها
فرضا بحكم الطبيعة ، وذلك الى جانب ان يكون واسع
الصدر قوى الحيلة بحيث يظل من مرات الصدام ويسلك
ويدور حول الحساوثر المتيرة بلهافة كبيرة وذلك رجعة
بعقل الزوجة ان ينهار ، وبحاضر الاطفال ومستقبلهم .

عبدالمعز جادو
الاسكندرية



أسكابه وأهم خصائصه في العصر الأموي

لا يقضى سرها وكذلك فعل خالد القسري مع يزيد
الجللي الذي أراد قطع يده بحد السرقه ثم اكتشف
أمر حبه ففعا عنه .. لقد أصبح الحب سنة أهل
العصر ، وسمة أهل الظرف ، كما قال أبو زهر
المديني حين سئل عن العشق فقال : هو الجنون والذل
وهو داء أهل الظرف .. بل صار لا يأنف من أن
يتصف به عالم أو ناسك ، بل فشا بين المتصوفة فيما
بعد لون من الحب الشاذ . هو تعلقهم بالعلمان ،
قال أبو حمزة الصوفي : « رأيت مع أحمد بن علي
الصوفي ببيت المقدس غلاما جميلا فقلت ، مذكم
صحيح هذا الغلام ، قال : منذ سنين فقلت :
لو صرنا الى بعض المنازل فكنتما فيه بحيث لا يراكما
الناس ، كان أجمل بكما من الجلوس في المساجد
والحديث فيها ، فقال أخاف احتيال الشيطان على فيه ،
وفي خلوتي به ، وإني لأكره أن يراني الله معه على

« لا غفر لمن هجر » ، ونقشت خليدة الحيرية « الموت في الحب جميل » . . .

وثمة سبب ثالث هو حالة الفقر المادي الذي كانت تعاني منه الطبقة الفقيرة في البادية ، مما كان حائلا بين الشاب وبين أمنيته في الحصول على من يراها مثله الأعلى الذي يحقق له أمله في الاستقرار النفسي . . . فيضطر إلى البعد عنها والحرمان من الحياة الزوجية السعيدة معها ، ويعمل عامل الاضطراب في نفسه فيزداد تعلقه بها « والممنوع محبوب » كما يقولون . وتظل صورتها تلج على وجدانه فتحرمه الاطمئنان والراحة ، وتفتق في نفسه ملكة الشعر لتكون بمثابة متنفس له يخفف عنه بعض ما يعانيه من آلام الحب وزفراته ، وقصص هؤلاء العشاق الذين اضطرتهم الظروف الاقتصادية إلى ذلك تزخر بها كتب الأدب ، من ذلك حب عروة لعفراء ابنة عمه التي نشأ معها صغيرا ، حتى إذا شب ورغب في الزواج منها « وقت المال عقبة في طريق العاشقين ، فقد غالت أسرة عفراء على المهر وعجز عروة عن القيام به ، وألح عروة على عمه ، وصارحه بحب عفراء في الأرض لعل الحياة تقبل عليه فيعود بمهر عفراء ، وينطلق عروة بحثا عن المال ثم يعود بعد حين وقد تيسر له ما كان يسعى إليه . . . وفي أرض الوطن يخبره عمه أن عفراء قد ماتت ويريه قبرا جديدا ويقول له إنه قبرها ، وتحتطم آمال عروة ، وترتبط حياته بهذا القبر ، ييشه آلامه . . ثم تترامى إليه الأنباء بأن عفراء لم تمت ولكنها تزوجت من رجل أموى غني رغم معارضتها . . أخذها ورحل إلى الشام^(١٢) فيثور الحنين بعروة ، ويحاول أن يلتقي بها فيحتال لهذا الأمر إلى أن يحصل على ذلك فتكون شكوى ودموع وأشواق تلازم العاشقين فيشتد الضنى والمزال بعروة فيموت . ثم تعقبه عفراء بعد أن يشتد جزعها عليه « . وشبهه بهذه الأنساء مأساة المرقش الأكبر وابنة عمه أسماء ، وعترت بن شداد وابنة عمه عبلة ، فعامل الكفاءة والدلم يرتبط الى حد كبير بالعامل

معصية فيفرق بيني وبينه يوم يظهر المحبون بأحبابهم . . . كما أحب محمد بن قطن الصوفي غلاما ، ومات محمد بن داود الأصبهاني من أثر حبه لغلامه ، ولقد مات محمد بن يحيى سألته عن حاله في المرض الذي مات منه ، « حب من تعلم أودعني ما ترى !! »

بل إن قبيلة بني عذرة اشتهرت بكثرة ما فيها من عشاق ، حتى قال رجل منهم لعروة بن الزبير الذي قال له : بحق أقول لكم إنكم أرق الناس قلوبا

نعم والله لقد تركت بالحق ثلاثين قد خامرهم الل ، وما بهم من ذاء إلا الحب وكانت ترى في استشهاده الكثير من شبابها في ميدان الحب مزية تفخر بها وتزهر لذا قال رجل بني فزارة لرجل من بني عذرة « تعدون موتكم من الحب مزية وإنما ذلك من ضعف البنية ، ووهن العقيدة ، فقال العذري : أما أنكم لو رأيتم الماحجر البلح ترشق بالأعين الدمع من فوقها الخواجب الزوج . . . لجمعتموها اللات والعزى ودفنتم الإسلام وراء ظهوركم . . . »

وهذا أبو السائب المخزومي يبرح عاصية سوجده تستقي وتسقى بستانا فيقول لها مالك وأهلك ، تضجيه : صديقي عبد بني فلان كان يحبني وأحب قفطيني ففقيهه مواليه ، وصيرني مولاى في هذا العمل ، فقال أبو السائب : والله لا يجمع عليك نقل الحب وثقل ما أرى ، وقام مقامها في الزنوق ، فكل الشيوخ وعرق ، فجعل يمسح العرق ويقول اللهم فرج ما ترى . . وهل ثمة اعتراف بالحب أبعد مدى من التعتي بقصائد الحب ، حتى الشاذ منه في حضرة الخلفاء ، كما كان يفعل كورى الزامر ، الذي كان يتغنى بشعر أحمد ابن كليب في معشوقة أسلم أمام أمير المؤمنين الناصر ، ومن ذلك قوله :

أسلمنى في الهوى أسلم هذا الرش
غزال له مقلة يصيب بها من يشا

بل صارت تنقش عبارات الحب على خواتم الجوارى ، وتطرز أبيات الشعر الغزلى على ثيابهن بعد أن استكلت الحضارة العربية كل أسبابها في العصر العباسي ، بل في أوائل هذا العصر ، فلقد نقشت كلثم على خاتمها

التمسك بالعة ، حتى لو واتهم الفرصة ، بل أصبحت العفة شعار الحب الخالص التقى الذى يدعو صاحبه إلى الفخر به ، كان ذلك في الجاهلية ، قال محمد ابن سيرين عنهم «إنهم كانوا يعشقون في غير رية ..» وقال ابن القيم «وكانت الجاهلية الجهلاء في كفرهم لا يرجون ثوابا ، ولا يخافون عقابا ، وكانوا يصونون العشق عن الجماع ..» وذكر عمر بن شبة عن بعض علماء أهل المدينة ، قال : كان الرجل يحب الفتاة ، فإذا ظفرها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار ، واليوم يشير إليها وتشير إليه ، فبعدها وتعدده فإذا التقيا لم يشك حبا ولم ينشد شعرا .. بل كانوا في الجاهلية يرون للزوج النصف الأسفل وللعشيق النصف الأعلى ، قال الشاعر :

فللحب ما ضمت عليه نقابها

وللبعل ما ضمت عليه المآزر

من صفات الفروسية التي يتصف بها العربي ، أو يحاول أن يتصف بها الجراة والشجاعة مع العفة والضيافة ، فإذا جاء الإسلام وتمكنت دعوته من النفوس دعت الفتوى ورعاية مبادئه العفة والضيافة التي كان معها الفروسية والفتوة العربية ، فسمعنا شاعرا كابن

وبتنا فويق الحي لا نحن منهم

ولا نحن بالأعداء مختطان

وبات يقينا ساقط الطل والندي

من الليل بردا يمتة عطران

نذود بذكر الله عنا غوى الصبا

إذا كان قلبانا له يردان

ونصدر عن ري العفاف ، وربما

تقنعا غليل الحب بالرشافان

ويقول أغرابي :

وما العشق إلا عفة ، ونزاهة

وأنس قلوب أنسهن التغزل

لذلك وجدنا كل عاشق من هؤلاء العشاق البدوين

خاصة ، يتباهى بأن محبته عفيفة ، ضمنية بالوصل ،

لا تجود حتى بالقليل . فكثير يقول عن عزة :

الاقتصادى . . لقد أدرك عدد كبير من أثرياء ذلك العصر قسوة هذا الحائل المادى ، فكانوا يعملون على إعانة هؤلاء العشاق الفقراء . . . لقد رأى عمر بن أبي ربيعة فتى من قريش يكلم امرأة في الطواف فغاب ذلك عليه - بعد أن تاب عمر - فذكر أنها ابنة عمه ، فقال ذلك أشنع لأمرك . قال : إني خطبتا إلى عمى ، وأنه زعم أنه لا يزوجني حتى أصدقها أربعمائة دينار وأنا غير قادر على ذلك ، فأتى عمر عمه فكلمه في أمرها ، فقال إنه ملق ، فطلب عمر أن يزوجه منها ، ويدفع عنه المهر . . . ، كما دفع خالد القسرى المهر ليزيد البجلي وأمر أولياء الجارية أن يزوجه بها طائعين ، والا يزوجه كارهين ، وهذا رجل من الكوفة اسمه ليث بن زياد يبيع جاريته التي رباها ، وأدبها ، وأحبها ، ولما قبض المال جزع عليها جزعا شديدا ، كما أن الجارية لم تنأ لها الحياة بعده ، وحين تبين سيدها ذلك أعادها له ووهب له من ثمنها خمسين ألفا ، وحين اشتدت به الحاجة مرة ثانية رعت هى في أن يبيعه ليفك ضائقته فباعها لعبد الله بن طاهر وإلى خراسان الذى تزوجها وأنجب منها أولاده . وظلت جواررها والطافها تصل مولاها الأول حتى مات لقد أدرك الدكتور طه حسين حقيقة العامل في ظهور الحب العذرى في البداية فجعله هو والصوفية الإسلامية . . . والانصراف عن حروبهم وأسباب لوهم الجاهل . وانصرفهم عن الحياة العملية في الإسلام إلى أنفسهم ، من أسباب الزهد الذى تجلى في مظهرين مختلفين اختلافا شديدا ، أحدهما الزهد الديني الخالص . . . والثاني هذا الغزل العفيف الذى هو في حقيقة الأمر امرأة صادقة لطموح هذه البداية إلى المثل الأعلى في الحب ، وليرامها من ألوان الفساد التي كانت تغمر أهل مكة والمدينة من جهة أخرى (١٣) .

يضاف الى تلك العوامل عامل آخر له أهميته ، وهو التقاليد العربية المتوارثة بخاصة في البداية محافظة ، فبالرغم من اعترافهم إلى حلا ما بالحب ، إلا أن حرصهم على الشرف ، غرس في نفوس شبابههم

قضى كل ذي دين ، فوفى غريمه

وعزة مطول معنى غريمها

ويقول ذو الرمة عن مية وأترابها :

أولئك لا يوفين شيئا وعدنه

وعهن لا يصحو الغوى المخذل

وجميل بن معمر يقول :

وإني لأرضى من بشية بالذى

لو ابصره الواشى لقرت بلابه

بلا ، وبألا أستطيع ، وبألتى .

وبالأمل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى

وأخسره لا نلتقى ، وأوالله

وها هو ذو الرمة يقول وقد احتضر « لقد همت

بجئ عشرين سنة في غير ريبة ولا فساد » . وقال سعيد

ابن عتبة لأعرابي : ممن الرجل ؟ قال : من قوم إذا

عشقوا ماتوا ، قال : عذرى ورب الكعبة ، فقال

له ، ومم ذاك ؟ قال : في ناسنا صباحة ، وفي رجالتنا

عفة . وحين تسمع بشية يسفر جميل إلى مصر يقول :

ما عندى أكثر من البكاء إلى أن ألقاه في الدار الأخرى

أو زيارته وهو ميت تحت الثرى . وتنتهي إلى

الأحلية أن تكون بينها ، وبين توبة ريبة . لقد أصبح

العفاف ، وتحمل الحرمان الطويل صفة أساسية من

صفات هذا الحب النقي ، قال الأصمعي : قلت لأعرابية :

ما تعدون العشق فيكم ، قالت : العناق والضممة والغزوة

والحادثة ثم قالت : يا حضرى فكيف هو عندهم ،

قلت : يعقد بين شعبها الأربع ثم يعدها ، قالت : يا

ابن أخى ما هذا عاشق ، هذا طالب ولد . . .

إن هذه العفة ، والحرمان من دواعي طول الشوق

والحنين الذى يسلم صاحبه إلى الداء فلا استشهاد وهو

من صفات الحب العذرى ، الذى لا يطيقه الحضرى ،

ولا يقوى عليه غالبا . . . ولعل العفة ، والحرمان

بعد أن امتزجت أسبابها بالسبب الدينى . قد آلت إلى

ذلك الحب الصوفى الذى اشتهر به أكثر الزهاد والمسنكين ،

ولقد رأينا أحد الصوفية لا يرغب في الاختلاء بمن

يجب حتى لا يحرم منه « يوم يظفر المجون بأحبابهم » .

فالحب العذرى هو صدى الصراع المحتوم بين الغريزة
والكبت الصادر من التمسك بالمثل والتقاليد العربية
قبل الإسلام ، والصادر من تلك التقاليد ممترجة بما
دعا إليه الإسلام من مبادئ ومثل جديدة .

ولعل من الأسباب أيضا هذا القدر من الحرية
الذى كانت تمارسه الفتاة العربية في الجاهلية والإسلام
فالمرأة في الجاهلية ، لم تكن تثن تحت وطأة الحجاب
- كما يظن البعض - وإلا ما دعاها الإسلام إلى أن تلقى
نحمارها على صدرها العارى ، وألا تضرب الأرض
بقدميها حين تلتقى ببعض الشباب في طريقها لتسمعه
وسوسة الخلق ، وتريه جمال السابقين ، فقال تعالى « وليضربن
بخمرهن على جيوبهن » « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن » بل كانت المرأة تستشار - غالبا -
في أمر زواجها ، وها هي الخنساء ترفض الاقتراح
بدريد بن الصمة ، وتخوض ضده حربا هجائية عنيفة .
وهذا شيخ من بكر بن وائل يطلب يد فتاة من مراد
فيجاب إلى طلبه ، وحين تراه الفتاة لاتعجب به إذ ترا-
كبير السن ، قبح الوجه ، فشده عليه بالسيف ، وتثاله
بفضضته ، فقال هام بن سلول وهو يشيب بأمارة
مشيرا إلى تلك الفتاة المرادية :

أخاف بأن تجزى المحب ، كما جرت

فتاة مراد شيخ بكر بن وائل

ولا ذنب للحنساء ، لما بدا لها

ضعيفا كخيظ الصوف ، رخو المفاصل

وفي الإسلام رأينا السيدة خديجة تعرض على الرسول
عليه السلام الزواج منها ، كما رأينا امرأة أخرى
تهب نفسها للرسول حتى لاكت الألسن ضيقها فتزلزلت
في شأنها بعض الآيات القرآنية ، وفي العصر الأموي
وما بعده حصلت المرأة على قسط أوفر من الحرية
خاصة بعد أن كثرت الجوارى ، وأصبح من حق
الرجل أن يحصل على من يشاء منهن ، وهذه عائشة
بنت طلحة لا تستر وجهها عن أحد وتقول لزوجها
مصعب بن الزبير : « إن الله ومثني يمسح جمال
فأحببت أن يراه الناس والله ما بي وصمة أسترها »
وسكينة بنت الحسين تلتقى بالشعراء والأدباء في منزلها

أحواله باليمن ، وله قصيدة تسجل هذا الحادث .
« بل إن قبيلة بني عذرة التي اشتهرت بالحلب تنتسب
إلى حمير اليمنية في رأى بعض النسابين »^(١٥) ، يضاف
إلى ذلك أثر الإمام والمولى ، وانتشار الغناء وقد
تحدثنا عن ذلك في المقدمة التاريخية .

وأخيراً فإن هذه الأسباب مجتمعة هي التي جعلت
الحب ظاهرة عامة معترفاً بها من أهل ذلك العصر ،
والعصر الذي قبله . ثم تفرع وتنوع وخاصة حين
ارتحل إلى الأندلس ، فليس غريباً أن نجد امرأة
من مولدات مكة وقد كانت تعيش بالشام تقول حين
نعى إليها عمر بن أبي ربيعة : من لأياطح مكة ،
ومن يمدح نساءها ، ويصف محاسنها ، ويبكى طاعنها
فقبل لها : قد نشأ نفي من ولد عثمان بن عفان على
طريقته ، فقالد أنشدوني ، فأنشدها :

وقد أرسلت في السر ليلاً بأن أقم

ولا تقربنا فالتجنب أجمل

فنتت ، وقالت : هذا أجمل عوض ، وأفضل
خلف ، فالخمد لله الذي خلف على حرمه ، وأتمه
مثل عفا .

١٣ - حديث الأربعة

١٥ - الحب الثالث عند العرب

٢٩٩ - زهر الآداب ج ١ ص

١٤ - زهر الآداب ج ١ ص

١٦ - زهر الآداب ج ٢ ص

عزيز اباطلة
في ذمة الله



حملت انباء القاهرة في الشهر الماضي نعي
الشاعر عزيز اباطلة الذي توفي بعد معاناة من نوبة
قلبية أصابته حينما كان يقوم بزيارة للكوييت وادخل
بسيبها المستشفى لكن القصر لم يمهله فقضى
ماسوقاً عليه من محبي ادبه وشعره ، فقلد كان
رحمه الله من الشعراء المجيدين ، وخلف تراثاً
شعرياً وادبياً اغنى المكتبة العربية ، ومجلة البيان
تدعو الله ان يتفهد الفقيد برحمته وغفرانه ويسكنه
فسيح جناته .

وتنتقدهم وتكافئ المجيد منهم ، وحين يقول لها
الفرزدق : إذا مت فمري من يدفني في درع هذه
الجارية وأوماً إلى جارية كلف بها - فضحك سكبنة
حتى تكاد أن تخرج من بردها ، وتأثر له بجائزة
وبالجارية أيضاً ، ولم تكن هذه الحرية موفورة
للمرأة في المدن فقط ، وإنما كانت لامرأة البادية
حريتها ، فهي تزور جاراتها ، وتنتقل خلال مضارب
الخيام ، وتخرج في بعض الأوقات ، وخاصة في
الضحى ، وقبل الغروب مع صديقاتها للزفة ،
ومعاكسة الفتيان بالظرفة أو الكلمة أو الإشارة أو
الحركة المغربة ، وشاعرنا ذو الرمة قد سجل الكثير
من أساليب إغرائهن التي عرضنا بعضها منها في الفصل
السابق . بل كانت الفتاة منهن ، كما أشرنا إلى ذلك
من قبل - تحب أن يتحدث الناس عن حبها ، وترغب
في أن يشتهر به ، أليس في ذلك ما يدل على توفر
أسباب الفتنة والجمال فيها ، والجمال عند المرأة
هو كثرها الذي تعتر به وتختال ؟

قال ابن حزم « وقد قرأت في بعض أخبار
الأعراب : أن نساءهم لا يقتعن ، ولا يصطفق عشق
عاشق لمن حتى يشتهر ، ويكشف حبه ، ويجاهر ،
ويعلن وينوه بذكرهن ، ولا أدري ما معنى هذا ؟
على أنه يذكر عنهن العفاف ، وأنى عفاف مع امرأة
أفصى منها وسرورها الشهرة في هذا المعنى ... »

وسبب أخير في رأيي ، هو أن الحب رغم أنه
ظاهرة اجتماعية لا يخلو منها شعب أو جنس بشري
إلا أن أسباب انتشاره في ذلك العصر ، وجعله أشبه
« بالمودة » التي يحب أن يقلدها كل شخص ، هو
أنه وافد حضري ، جاء إلى البادية العربية الواسعة
مع القبائل المهاجرة من اليمن وروج له شعراء
الحب اليمنيون أيضاً ، فليس عجباً أن يقال :
عشق يمني ودلّ حجازي^(١٦) كما أن عدداً من شعراء
الغزل يمنيون ، فامرؤ القيس من كتندة ، وكندة في
اليمن ، وأم عمر بن أبي ربيعة من حمير ، ومنها
أنه الغزل ، وحين غضب عليه أخوه الحارث المعروف
بالقناع وكان من أفاضل أهل عصره ، هاجر إلى

عَيْنَاكَ وَالصِّيفُ وَوُجَابُ

شعر / عبد الحميد المحادين

نضيع فيها .. في صحن الليل لا ندرى إلام
محطة ، محطة ، محطة

يردد الليل على بسمنا ، انشودة الليل المعذب
حكاية الحب المهاجر

مسائر عبر سواقي الوجد .. يا شوق المسائر
يا غربة المنفى السحيقة

يا غربة التجوال والتسأل والطيف المغادر
تسر في أحداقها تلك العيون المجده

جاء هذى ، ثم تضي ، ثم تضي
حكاية لم تدر ما معنى الحروف الزرق في تلك الفصول

المهله

وفي خواتم الجاهل

في الفلاة الجبراء ، في منافع المقاصل

هناك يا مؤاب

هناك كنت لي نجوم

هناك لي نجوم

هناك لي حكاية لا تنتهي

يا ملحسا ، يا مرصد الأمل الحبيب على صدور لا تضن

بكل ما تحوي كسور الحب

يا قصة لو كان للشعر جناح

لطار خلف الغيبة الإلهاء يلقي كل أفاق الرياح

عينك في كل الخطوط المبهمه

كالموجة الخبلى ، اضاع الريح مقودها فتاهت في

السطوط السر تستجدي الرمال ملامح الريح البعيده

سألت عن عينيك هزات الرياح المهبليه

سألت عن عينك أفاق الربوع الضائعه

سألت عن عينك أعماق مؤاب

لولاك من اكون

لولاك ، لولا الهدب والعيون

لفضعت في الصيف الحزين

وانسبت في النهر المعفر بالجئون

هويتي أنت

وانت تلك ان اكون

او لا اكون !!

مؤاب التي فوق صدر الليل احلام الذوابات
التي نابت ، والقت ثقلها الواهي على

السدر الكسوله

والنور يسري من نوافذ حجري ويبد في شعر

الظلام اصابع الصيت التحيله

والليل ساج ، والعيون السر تهذي

بالبنابيع التي تد سافرت ، قد هاجرت

عبر المسافات الطويله

لملت احلام النجوم الصفر من فوق الصدور المرمرية

اجتاز فيها كل افاق الصحارى المشرقيه

من كل اوهام البوادي والبحار المشرقيه

والصيف من عينيك يجتاز المعابر

لو في صحن الكون شوق ، انت في شوق المسائر

نابت عيون الصيف في حضان الجفون اللثاليه

عينك احلى من عيون الكون ، من عيون النجوم الهائله

عينك في نبض مؤاب

في كل حقائق الضباب

في كل ساحات الدباء المهرقه

في كل احوال السيوف الغاضبات وفي اتين المشنقه

عينك في كل المروج المغربيه

عينك في التجم الموضا ، في شروق الفجر ، في صمت

القرون

حلم تنثني من ليالي العمر في صدر حزين

ينساب خلف الصمت في ليل اغترابي

عينك في سواعد النجوم

في عرسها

في كل شيء خلف شياكي وبابي

يا مرصداً الأمل البعيد

ويح المسافات البعيده

يا عمق أعماق الصحارى

يا بعد أفاق البحار

لم يطوها أبداً شعاع

يا ليله ما كنت ادري انها ستغيب في دوامة الزمن السحيق

يا ليله ما كنت ادري كيف تجري كل دقائق الثواني

كيف تضي كل ساعات الزمان